

العقرب 4

مملكة الشر



د. نبيل فاروق



نبيل فاروق

مملكة الشر - العصابة

(سلسلة العقرب 4)



دار كيان للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة©

عندما يعجز القانون البشري عن القصاص..

عندما تحيطُ العدالة عينيها بعصابةٍ سميكةٍ..

حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..

عندئذ ينهض هو للقتال، حاملًا ذلك الاسم، الذي يثيرُ الرجفةَ في قلوب أعتى المجرمين..

اسم (العقرب)

مملكةُ الشَّرِّ

-١-

المتهم

لم تستطع (غادة) منع نفسها من الابتسام، عندما شاهدت (نديم فوزي)، وهو يخطو داخل قاعة المحكمة، مرتديًا روب المحاماة، ووجهه يحمل كل علامات الرصانة والوقار، فقالت ضاحكة:

- تصوَّر أنَّها أول مرة أراك فيها بهذا الزي!

أجابها في هدوء:

- هذا لأنَّكِ نادرًا ما تأتين إلى هنا، على الرغم من ترخيص مزاولة مهنة المحاماة الذي تحملينه.

ضحكت مرة أخرى، وقالت:

- وما ذنبي أنا؟ إنَّكَ تطالبني دائمًا بأعمال أخرى، لا تمت للمحاماة بصلة.

ثم مالت على أذنه، مستطردة في مرحٍ:

- بل إلى العقارب.

لم يبتسم لدعابتها، وهو يقول:

- لا بأس.. هذا وذاك يسعيان إلى تحقيق العدالة.

أدركت أن محاولتها دفعه إلى الابتسام ستبوء بالفشل، فتنهدت وقالت:

- حسنًا يا (نديم) – أخبرني: ما نوع مرافعتك اليوم؟

هزَّ كتفيه، وقال:

- إنَّها قضية تموينية كبيرة، و...

حدَّقت في وجهه بدهشة، على نحو دفعه إلى بتر عبارته،

وهو يقول:

- ماذا في هذا؟

فوجئ بها تنفجر ضاحكة، وهي تقول:

- قضية تموين؟!.. هل ستترافع في قضية تموين؟

عقد حاجبيه قائلًا:

- ولم لا؟.. أنسيتِ أنَّني محامٍ عامٌّ، وأنَّني..؟

قاطعته مستنكرة:

- ولكن هذا لا يناسبك.. لا يمكنني أن أتصورك في هذا الموقف.

قال في حِدَّةٍ:

- لماذا؟

أتاه الجواب من خلفه، بصوت خشن، يقول:

- لأن القضايا العادية لا تليق بـ (العقرب).

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (غادة)، وهي تتطلع إلى صاحب العبارة، في حين التفت إليه (نديم) في هدوء، وقال وكأنَّه لم يسمع كلمة واحدة:

- صباح الخير يا (مجدي).. كيف حالك؟.. أيُّ رياح طيبة ألقت بك هنا؟

نظر إليه العقيد (مجدي) في تحدٍّ، وهو يقول:

- يخيل إليّ أنَّك تحاوِل تجاهُل عبارتي تمامًا أيُّها (العقرب).

ربت (نديم) على كتفه، وهو يقول:

- بل أنت الذي يصرُّ على مخاطبتي بهذا اللقب.

عقد (مجدي) حاجبيه في توتر، وهو يقول:

- اسمع يا (نديم).. إنَّك تتصور نفسك ذكيًا، ولكنني سأوقع بك يومًا ما، وسأثبت أنَّك (العقرب)، الذي...

قاطعته (غادة) هذه المرة، وهي تقول في سخرية:

- عجبًا!.. ألا يبدو هذا الحديث مكررًا؟.. يلوح لي أنَّني قد سمعته في برنامج قديم.

رفع (مجدي) عينيه إليها في حركة حادة، وازداد انعقاد حاجبيه، وهو يقول:

- اسمعي أيتها الـ...

اعترض (نديم) استمرار العبارة، وهو يقول، بغتة:

- إنَّك لم تخبرني لماذا أنت هنا يا (مجدي)؟

بدا لحظة أنَّ هذه المقاطعة قد أحنقت (مجدي) وأنَّه سينفجر في وجه (نديم)، إلا أنَّ كل هذا لم يلبث أن تلاشى بغتة، وقال (مجدي):

- إنَّني شاهد رئيسي، في قضية مخدرات كبيرة.

قال (نديم) في رصانة:

- أتقصد قضية (إبراهيم علوان)؟

لوَّح (مجدي) بسبابته، قائلًا:

- هو ما تقول.

ثم اندفع فجأة مبتعدًا، وهو يستطرد:

- إلى اللقاء.

ابتسمت (غادة)، وهي تراقب ابتعاده، وقالت:

- يا له من لحوح!

غمغم (نديم):

- إنَّه يؤدي عمله.

التفتت إليه، تسأله في فضول:

- مَن (إبراهيم علوان) هذا؟..

أجابها (نديم)، وهو يسير إلى جوارها، نحو قاعة الجلسات:

- إنَّه عقيد في إدارة مكافحة المخدرات، تمَّ ضبطه في كمين، ويحمل في حقيبة سيارته كيلو جرامين من الهيروين النقي، المسروق من إدارة مكافحة المخدرات نفسها، بعد ضبطية قضائية كبيرة.

توقفت تهتف مستنكرة:

- يا إلهي!.. أتعني أن العقيد (إبراهيم علوان) هذا كان يلقي القبض على مروجي المخدرات، ويصادر بضاعتهم، ثم يسرقها لنفسه؟

أومأ برأسه إيجابًا، وهو يقول:

- هذا صحيح، طبقًا لأوراق القضية.

عقدت حاجبيها لحظات مفكرة، ثم قالت:

- هناك أمر لا يروق لي في هذه القضية.

سألها في اهتمام:

- ما هو؟

أجابته في حماس:

- لماذا يسرق العقيد (إبراهيم) الهيروين، بعد تسليمه إلى إدارة مكافحة المخدرات، وبعد أن يتم وزنه وتحريزه؟.. أليس من الأسهل والأقل خطورة أن يسرقه عند ضبطه مباشرة؟

بدا له سؤالها منطقيًا للغاية، وأثار في أعماقه حماسًا يمتزج بشيءٍ من القلق، جعله يقول:

- نعم.. لماذا؟

ثم اعتدل مستطردًا برصانته المعهودة:

- من حسن حظنا أن قضية (إبراهيم علوان) ستنظر في نفس القاعة، التي ستشهد قضيتنا، وهذا يجعل من السهل علينا أن نتابعها أيضًا.

سألته في شغف:

- هل أثار الأمر اهتمام (نديم فوزي)، أم (العقرب)؟

خُيِّل إليها أن عينيه قد ابتسمتا، وهو يقول:

- من يدري يا عزيزتي.. من يدري؟

واتجه إلى قاعة الجلسات..

***

كانت محاكمة (إبراهيم علوان) مثيرة بحق، فلقد لخَّص وكيل النيابة القضية، قائلًا: إن الشرطة قد تلقَّت بلاغًا من مجهول، يقول فيه: إنَّ العقيد (إبراهيم علوان) يسرق الهيروين من ضبطيات الإدارة، وأنَّه يحمل في حقيبة سيارته الآن كيلو جرامين منه، وهنا أسرع رجال إدارة مكافحة

المخدرات يعدون كمينًا للعقيد (إبراهيم)، وعثروا في سيارته على كيلو جرامين، وبمعاودة فحص ووزن كمية الهيروين المضبوطة في الإدارة، وُجِد أنَّها تنقص هذين الكيلو جرامين، وبمراجعة أوراق الأمن، وأقوال العاملين في الإدارة، ثبت أنَّ العقيد (إبراهيم) هو الشخص الوحيد، الذي يمكنه مغادرة حجرة الضبطيات دون تفتيش، مما يجعله الوحيد القادر على الخروج بالهيروين المسروق، ومن هنا تم تحويل الأمر إلى القضاء..

وحاول محامي العقيد (إبراهيم) الدفاع عن موكله، وبسرد تاريخه المشرِّف في إدارة مكافحة المخدرات، وبسؤال عدد من زملائه، الذين أجمعوا على كونه رجلًا شريفًا، وضابطًا عظيمًا طيلة عمله، وإن لم يجزم أحدهم باستحالة قيامه بسرقة الهيروين؛ نظرًا لأنَّ الأدلة المادية كلها تدينه..

وكانت شهادة (مجدي) إحدى هذه الشهادات، ولقد دافع عن زميله العقيد (إبراهيم) في حماس، ولكن هذه الشهادات لم تَرْقَ أبدًا إلى قوة أدلة الإدانة، وحتى لو أضفنا إليها إصرار المتهم الشديد على براءته من هذه التهمة المخزية..

ومالت (غادة) على أذن (نديم)، تسأله:

- ما رأيك؟

صمت لحظات، قبل أن يجيبها في هدوء:

- لا أحد يمكنه الجزم بحقيقة الأمر، فقد يكون هذا الرجل بريئًا، أو أنَّ العكس هو الصحيح، فشهادة زملائه على حسن سلوكه قد لا تعني براءته، بل ذكاؤه في إخفاء حقيقة أمره.. ولقد شاهدنا مثل هذه الصور كثيرًا.

قالت في حزمٍ:

- ولكنه بريء.

سألها في هدوء:

- كيف يمكنك الجزم بهذا؟

تردَّدت لحظة، ثم قالت في عناد:

- غريزة الأنثى.

لم تكد تنطقها حتى حمدت الله (سبحانه وتعالى) في أعماقها؛ لأنَّ (نديم) لا يميل إلى السخرية، وإلا لانفجر ضاحكًا، وأراحها أن استقبل قولها بجدية، وهزَّ رأسه، قائلًا:

- معذرة يا عزيزتي، ولكن لا يمكنني الاعتماد على هذا وحده.. أحتاج إلى دليلٍ واحدٍ.

هَمَسَت في أذنه:

- وهل يحتاج (العقرب) إلى الأدلة، للدفاع عن العدالة؟

أجابها في حزمٍ:

- إنَّه أيضًا لا يندفع لاقتحام قضية ما، ما لم يطمئن إلى سلامة موقفه.

انتهى القاضي – في هذه اللحظة – من مناقشة مستشاريه، فاعتدل في مقعده، وقال في مهابةٍ ووقارٍ:

- تُؤجَّل الجلسة إلى الثاني من الشهر القادم؛ للنطق بالحكم.

لم يكد القاضي ينطقها، حتى أدار (نديم) عينيه إلى حيث العقيد (إبراهيم)، وكأنَّما يرغب في دراسة ردّ فعل الرجل، وبدا له (إبراهيم) منهارًا، مفعمًا بالمرارة، يتطلع إلى الجميع في أسى، وكأنَّما يبحث بينهم عمّن يتشبث به..

وفجأة اتسعت عينا (إبراهيم)، وتألقتا ببريقٍ عجيبٍ، وكأنَّما أُضيء عقله بغتة، وهتف:

- اقبضوا على هذا الرجل.

قالها وأشار بسبابته إلى باب القاعة، حيث بدأ بعض الحاضرين في الانصراف، فأدار (نديم) و(غادة) عيونهما بسرعة إلى حيث يشير، في حين استطرد (إبراهيم) في ثورة مباغتة:

- إنَّه المجرم الحقيقي.. ألقوا القبض عليه.. ألقوا القبض عليه.

تركزت عينا (نديم) على وجه الشاب النحيل، الذي أشار إليه (إبراهيم)، وخُيِّل إليه أنَّه قد عثر على الدليل الذي ينشده، بين ملامح هذا الشاب..

وكان الدليل مجرد ابتسامة..

ابتسامة ساخرة.

***

-٢-

وجه العدالة

تطلَّع العقيد (إبراهيم)، في يأسٍ وحيرةٍ، إلى وجه (نديم فوزي)، داخل حجرة مدير السجن، وقال:

- أأنت محامٍ؟!.. ولكن لماذا؟.. هناك محامٍ يتولَّى مهمة الدفاع عني بالفعل، ولست أدري لماذا تجشمتَ كل هذا العناء، لتستخرج تصريحًا بمقابلتي، وأنت تعلم هذا؟

جلس (نديم) أمامه، وقال في بساطة:

- لقد حضرت آخر جلسات قضيتك، وقرَّرت الدفاع عنكَ.

قال (إبراهيم) في مرارة:

- أشكرلك هذا، ولكنني لا أستطيع الاستعانة باثنين من المحامين.. أعني أن قدراتي المالية لا تسمح بذلك.. أنت تعلم ضعف الراتب.. أليس كذلك؟

أومأ (نديم) برأسه متفهمًا، وقال:

- سأعتبر هذا دليلًا آخر على براءتك يا سيدي.

ثم أضاف وهو يميل نحوه برأسه:

- الواقع أنَّني لن أتقاضى قرشًا واحدًا للدفاع عنك.. بل ولن تحتاج إلى توكيلي رسميًا.

حدث (إبراهيم) في وجهه بدهشة، ثم لم يلبث أن هتف:

- يا إلهي!.. إنَّني أعرفك.. لقد عملنا معًا مرة، منذ خمس سنوات.. أنت (نديم فوزي).. أليس كذلك؟

أجابه (نديم)، محاولًا تجاهل هذه النقطة:

- بلى.. والآن أخبرني، من ذلك الشاب الذي أشرت إليه في نهاية الجلسة، وناشدت الجميع إلقاء القبض عليه؟

ارتسم الغضب على وجه (إبراهيم)، وهتف:

- إنَّه أمين مخزن المضبوطات.. هو الوحيد الذي كان يمكنه سرقة الهيروين، و...

انهارت ملامحه بغتة، مع انهيار صوته، وهو يستطرد:

- ولكن لماذا أخبرك؟.. لن يصدقني أحد.. إنَّهم حتى لم يحاولوا إلقاء القبض عليه.

قال (نديم)، محاولًا تهدئته:

- لم يكن هناك ما يستوجب هذا، على الرغم من اتهامك له، فلقد استجوبه وكيل النيابة من قبل، وثبت أنَّه لم يكن يحمل الهيروين عند انصرافه، فقد تم تفتيشه كالمعتاد، ثم إنَّه لم يكن هناك مبرر لوضع ما سرقه في حقيبة سيارتك أنت.

صاح (إبراهيم):

- من المؤكَّد أنَّه يعمل لحسابهم.. لقد فعلوا هذا للانتقام مني.

اعتدل (نديم)، وسأله في اهتمام:

- مَن هم هؤلاء سيادة العقيد؟

اندفع يقول في حِدَّةٍ:

- تجار الموت.. بائعو السموم.. أولئك الأوغاد الأشرار، الذين قضيت حياتي أحاربهم.. لقد ابتاعوا ضميره للانتقام مني.. إنَّهم...

أشار إليه (نديم) أن يلتزم الصمت، وهو يقول:

- رويدك يا سيادة العقيد.. حاوِل أن تسيطر على انفعالاتك، وتخبرني بأسماء هؤلاء.

عضَّ (إبراهيم) شفته السفلى في حنق، وهو يقول:

- ليتني أعلمها.. ليتني أعرف مَن هم.

تراجع (نديم) في مقعده، وغمغم:

- إذن فلست تعلم مَن هم!

ثم نهض بحركة مفاجئة، وهو يستطرد في حسم:

- دع أمرهم لي إذن.

سأله (إبراهيم) في حيرة:

- وماذا يمكنك أن تفعل؟.. لن تجد دليلًا واحدًا لإدانتهم، ولن يمكنك أبدًا أن..

قاطعه (نديم) في هدوء:

- ومَن قال إنَّني سأبحث عن أدلة؟

سأله في دهشة:

- ماذا ستفعل إذن؟

ألقى (نديم) نظرة طويلة، عبر نافذة حجرة مأمور السجن، قبل أن يجيب:

- سأسعى لتطبيق العدالة يا صديقي.

وبدا وكأنَّ كلماته تحمل طِنًّا من الحزم والصرامة، وهو يضيف:

- بوسيلتي الخاصة.

وفي أعماقه ابتسم (العقرب)..

***

أطلق (درويش)، أمين مخزن المضبوطات، صفيرًا منغومًا من فمه، وهو يصعد درجات سلم منزله، واتسعت ابتسامته في زهوٍ وسعادة، لتلتهم وجهه النحيل كله، وهو يدندن بكلمات أغنية حديثة، ويدس مفتاحه في ثقب باب شقته، ثم يديره قائلًا في مرحٍ:

- انتهت أيام الفقر يا (درويش).. الثراء والحياة الرغدة ينتظرانك.

دلف إلى منزله، وأغلق بابه خلفه، وهو يستطرد:

- وداعًا للفقر.

انتفض جسده انتفاضة عنيفة، كادت تنتزع قلبه من بين ضلوعه، عندما سمع من خلفه صوتًا يضيف:

- وللشرف.

استدار (درويش) في سرعة إلى مصدر الصوت، وانتفض جسده انتفاضة ثانية أكثر قوة وعنفًا، عندما وقع بصره على صاحب الصوت، الذي يختفي خلف قناع أسود، وقميص وسروال وقفازين وحذاء من اللون نفسه..

والتصق ظهر (درويش) بباب شقته، وهو يهتف في رعب:

- مَن أنت؟

اقترب منه (العقرب) في برود، وهو يقول في صرامة مخيفة:

- أنا من سيقتص منك أيُّها المجرم.

قال (درويش) في انهيار:

- لم أفعل شيئًا.

أجابه (العقرب):

- حقًّا؟!.. وماذا عن الهيروين، الذي سرقته من مخزن المضبوطات؟.. هل تحبُّ أن أخبرك كيف فعلت هذا؟.. لقد أخذت الكيلو جرامين، وأذبتهما في الحوض، مع المياه الجارية، ثم غادرت المخزن، وخضعت للتفتيش في ثقة؛ لأنَّك لا تحمل شيئًا، في حين كان مجرمٌ آخر يضع وزنًا مساويًا من الهيروين، في حقيبة سيارة العقيد (إبراهيم)، وثالث يبلغ الشرطة.. كانت خطة بسيطة وذكية، أليس كذلك؟

انكمش (درويش) في مكانه، وحمل صوته شيئًا من الحِدَّةِ، وهو يقول:

- ماذا تريد مني بالضبط؟

أرجفته نظرة صارمة من عين (العقرب)، الذي أجاب في صوت ترتجف له الدماء في العروق:

- أريد اعترافًا.. اعترافًا كاملًا.

ران عليهما الصمت لحظات، قبل أن يخفض (درويش) عينيه، ويقول في خفوت:

- مستحيل.

نطقها واستجمع شجاعته كلها بغتة، ودفع (العقرب) في صدره، هاتفًا:

- لن أقدِّم نفسي للموت هكذا.

تراجع (العقرب) إثر الدفعة، في نفس الوقت الذي دار فيه (درويش) على عقبيه، وفتح باب شقته، وهمَّ بالعدو خارجه، ولكن..

أمسكت قبضة قوية بعنقه، وأعادته إلى الشقة، مصحوبة بصوت (العقرب)، وهو يقول في صرامة:

- محاولة فاشلة يا رجل.

استدار (درويش) في حِدَّةٍ، وطوح قبضته في وجه (العقرب)، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة في مرونة، وقال:

- محاولة ثانية فاشلة.

ثم انقبضت قبضته كالقنبلة، في وجه (درويش)، الذي أطلق صرخة ألمٍ عالية، وهتف وهو يلوِّح بيده، ويحاول منع نزيف أنفه باليد الأخرى:

- الرحمة!! الرحمة!

انتزعه (العقرب) من مكانه بقبضتين فولاذيتين، وألصقه بالحائط في عنفٍ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول:

- هيا يا رجل.. أريد اعترافًا كاملًا، وبسرعة.

هتف (درويش) في مرارة:

- لا يمكنني هذا.. إنَّهم سيقتلونني لو فعلت.

قال (العقرب) في صرامة مخيفة:

- يبدو أنَّك سيئ الحظ كثيرًا، فسأقتلك أنا لو لم تفعل.

كان من الواضح أن عبارته قد تركت تأثيرها في قلب (درويش)، فقد ارتجف الرجل ارتجافة واضحة، وأطلَّ الخوف من عينيه، وانفرجت شفتاه على نحو يوحي بأنَّه سيدلي باعتراف رجلٍ منهارٍ، لولا أن ارتفع من خلف (العقرب) فجأة صوت يموج بالظفر والتشفي، يقول:

- يا للقدر!!.. يبدو أنَّني أحيا أفضل ليلة في عمري كله.. إنَّني محظوظ بحق.

أدرك (العقرب) من صاحب هذا الصوت، قبل حتى أن يلتفت إليه..

كان (مجدي)..

العقيد (مجدي)..

***

من المؤكد أن (غادة) كانت ملفتة للنظر في شدة، وهي

تجتاز الشارع الرئيسي في حي (الباطنية)، الذي يحوز شهرة واسعة، في عالم المخدرات، مرتدية ذلك الثوب البالغ الأناقة، الذي جعلها تبدو كأميرة تتفقد الأحياء الفقيرة في مملكتها..

وبقدر ما أثار جمالها وأناقتها الإعجاب، أثار وجودها في ذلك الحي الحيرة والشك، حتى أن (قاسم عبيد)، أكبر الرؤوس في المنطقة، قد مال على أذن مساعده (جميل)، وسأله:

- ماذا تفعل فتاة مثلها هنا؟

ألقى (جميل) نظرة لا مبالية على (غادة)، وقال:

- ربما أتت لشراء جرام أو جرامين من المسحوق الأبيض.

عقد (قاسم) حاجبيه، وهو يقول في شكٍّ:

- لا.. لستُ أظنُّ هذا.. إنَّها لا تبدو مثل..

قاطعه (جميل) في استهتار:

- لا تجعل جمالها وأناقتها يخدعانك يا زعيمي.. إنَّنا ناجحون في عملنا، إلى الحد الذي أفسد حتى أبناء الأسر الراقية، فأدمنوا استنشاق هذا المسحوق.. أراهنك أن جمالها هذا ليس سوى..

كان دور زعيمه ليقاطعه هذه المرة، وهو يمسك كتفه في قوة، ويقول في حِدَّةٍ:

- اصمت.. إنَّها تتجه إلينا مباشرة.

حدَّق (جميل) في (غادة)، وهو يهتف في دهشة:

- إلينا؟!

بلغت كلمته مسامع (غادة)، فارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة، زادت من قلق (قاسم) وشكوكه، وخاصة عندما مدَّت (غادة) يدها لتصافحه في هدوء، وتقول:

- (قاسم عبيد)، أكبر تجار المنطقة، أليس كذلك؟

صافحها (قاسم)، وهو يقول في حذرٍ:

- بلى.. أنا أكبر تاجر أعلاف في الـ..

قاطعته ساخرة:

- ومن ذكر أمر الأعلاف؟

ثم مالت نحوه، واستدركت في حزمٍ:

- إنَّني أقصد المخدرات.

لم يكن ذلك سرًّا..

صحيح أنَّ الشرطة لم تنجح حتى الآن، في التقاط دليلٍ قويٍّ، يصلح لإلقاء (قاسم عبيد) خلف القضبان، إلا أنَّ كل شرطي في إدارة مكافحة المخدرات يعلم أنَّه الأكبر، بين كل تجار هذه السموم البيضاء..

وعلى الرغم من ذلك ارتجف (قاسم)..

لم يكن يتوقع أبدًا أن تواجهه (غادة) بكل هذا الوضوح والصراحة..

لم يكن يتوقع هذا الهجوم اللفظي المباغت؛ ولهذا ظلَّ يحدِّق في وجه (غادة) لحظات في ذهول وحتى سألها (جميل) في خشونة:

- مَن أنت؟.. وماذا تريدين؟

التَفَتَت إليه (غادة)، وقالت في صرامة:

- لا شأن لك بهذا، ولا تنس أبدًا أنَّك مجرد تابع.

احتقن وجه (جميل)، وهتف في حنق:

- أيتها الـ.....

استوقفه زعيمه في حزمٍ، وهو يقول بلهجة آمرة:

- اصمت.

ثم أدار عينيه إلى (غادة)، وقال وقد استعاد هدوءه:

- لن يصلح الحديث في مثل هذه الأمور هنا.. هيا إلى مكتبي.

ابتسمت (غادة) في ثقة، وقالت في بساطة:

- لا بأس هيا بنا.

تبعته إلى حجرة مكتبه، الملحقة بمتجره، ولم تكد تدخل إلى المكتب حتى أغلق (جميل) الباب خلفهما، فأشارت إليه (غادة)، وقالت ساخرة:

- أمن الضروري أن يجلس هذا الشيء معنا؟

ابتسم (قاسم) ابتسامة غامضة، وهو يجيب:

- نعم.. إن وجوده ضروري للغاية.

لم يكد يتم عبارته، حتى سمعت (غادة) صوت (جميل) من خلفها، يقول في شراسة:

- وستعرفين لماذا.

ثم مسَّ نصل مدية حادة عنقها، مع صوته يستطرد:

- بعد فوات الأوان.

عندئذ أدرَكت لماذا..



-٣-

اللعبة

كان الموقف دقيقًا بحق..

لقد حقَّق (مجدي) حلمه، وضبط (العقرب) متلبسًا..

وعلى الرغم من ذلك، استدار (العقرب) في هدوءٍ يواجه (مجدي)، الذي حملت شفتاه ابتسامة ظفرٍ واسعةٍ، وأمسكت قبضته مسدسًا حكوميًّا كبيرًا، يصوبه إلى صدر (العقرب) في تحفُّزٍ واضحٍ..

وران صمت رهيب على المكان، قطعه (درويش) فجأة، عندما تعرَّف إلى (مجدي)، فهتف في لهفة:

- ألقِ القبض عليه يا سيادة العقيد.. إنَّه يهددني بالقتل.

فوجئ بـ(مجدي) يقول في خشونة:

- اصمت يا رجل.

تراجع (درويش) في دهشةٍ وقلقٍ، وراح ينقل بصره في خوف، بين وجهي (مجدي) و(العقرب)، حتى قال هذا الأخير في هدوءٍ، محاوِلًا تغيير صوته:

- هل الحظ وحده هو الذي جاء بك إلى هنا؟

أجابه (مجدي) في زهوٍ:

- بل عقلي هو الذي فعل، فلقد شاهدتُ مثلك ما فعله (درويش)، في قاعة المحاكمة، وأدركت أن له صلة بالأمر، ورأيت الانفعال الذي ارتسم على وجهك حينذاك، وعلمتُ أنَّك ستسعى حتمًا خلف (درويش)، فانتظرت هنا، حتى سمعت صرخة هذا الأخير، فأسرعت إلى شقته، ووجدت بابها مفتوحًا – لحسن الحظ – وهأنذا.

قال (العقرب) في برود:

- تدهشني الوسيلة، التي بلغت بها هذا المكان، على الرغم من خطأ الاستنتاج، فأنا لم أذهب إلى أي قاعة محاكمات هذا

الصباح.

أطلق (مجدي) ضحكة ساخرة عالية، وقال:

- هكذا؟!.. لا يا صديقي.. لن يمكنك اللعب على هذا الوتر، على الرغم من هذا القناع، ومحاولة تبديل صوتك.. ألم تنتبه إلى الخطأ، الذي وقعت فيه؟.. كيف علمت أنَّني أقصد هذا الصباح، على الرغم من أنَّني لم أذكر هذا.

أجابه (العقرب) في بساطة:

- لأنَّني أعلم أن محاكمة (إبراهيم علوان) ستتم هذا الصباح، وهناك فارق كبير بين معرفتي بالأمر، وحضوري المحاكمة.

لم يرُق هذا لـ(مجدي)، ولم يعجبه أن حطَّم (العقرب) قرينته بهذه السهولة، فعقد حاجبيه في صرامة، وقال في حِدَّةٍ، وهو يرفع مسدسه إلى وجه (العقرب):

- فليكن أيُّها المغرور، سنقطع الشك باليقين.

وحملت كلماته كلَّ غضب وحزم الدنيا، وهو يستطرد:

- هيا.. انزع قناعك.

ولم يكن هناك مجال للفرار..

***

شعرت (غادة) بنصل المدية الحادِّ على عنقها، وأدرَكت على الفور أن (جميل) هذا من ذلك النوع، الذي لم يحظَ بقدرٍ كافٍ من التهذيب، بحيث يتردد أمام قتل أي مخلوق حي..

ولكنها لم تخف..

لقد كانت تتوقع مثل هذا الموقف، منذ وضعت قدميها في هذه المملكة الإجرامية الرهيبة..

مملكة الشر..

وعندما وضع (جميل) نصل مديته على عنقها، أدرَكت أن لحظة العمل قد حانت..

وبدأت قتالها..

وبلا تردد..

فجأة قفزت يدها تمسك معصم (جميل)، ثم انزلقت من ذراعه في مهارة ورشاقة، ودارت على كعبها في مرونة، ودفعت أظفارها في عنق الرجل، ثم قفزت تركُل معدته بكعب حذائها الدقيق، وطارت قدمها الأخرى تضرب المدية في الوقت ذاته..

وانثنى (جميل)، وهو يمسك معدته في ألمٍ، في حين قفزت (غادة) تلتقط المدية، ووضعتها على عنقه هو، قائلة في سخرية:

- معذرة.. لم أنتبه إلى حديثك السابق.. ماذا كنت تقول؟

شحب وجه (جميل) في خوفٍ، ثم لم يلبث أن احتقن في غضبٍ، في حين قال (قاسم) وهو يتراجع إلى حيث مكتبه في عصبية:

- ما معنى هذا؟

فوجئ بـ(غادة) تخرج من ثوبها مسدسًا صغيرًا، وتصوِّبه إليه، قائلة:

- معناه أنَّك ستتلقَّى رصاصة في منتصف جبهتك تمامًا، لو أنَّك انتزعت مسدسك من درج مكتبك، كما تنوي أن تفعل.

اتسعت عينا (قاسم) في دهشةٍ وذعرٍ، واحتبست كلماته في حلقه، في حين سعل (جميل) في توترٍ، وقال:

- إنَّها مجنونة ولا شك.. كيف تجرؤ على مهاجمتنا هنا؟

أعادت (غادة) مسدسها إلى جيب سري في ثوبها، وهي تقول:

- أين كنت تحب أن أفعل؟.. في حديقة الحيوان؟

حبس كلماته في حلقه، وهو يتطلع إليها في غضبٍ، في حين سألها (قاسم)، وقد تضاعفت عصبيته:

- مرة أخرى أسألك، ما معنى هذا؟

اتخذت لنفسها مقعدًا، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى، وهي تجيب:

- معناه أنَّكم لا تُحسنون التعامل مع الضيوف.

غمغم في دهشة:

- الضيوف؟!

- ورجال الأعمال.

حدَّق فيها لحظات في صمت وحيرة، ثم تبادَل مع (جميل) نظرة تساؤل، واتجه إلى مكتبه، وجلس على المقعد الوثير خلفه، قبل أن يسألها في حذر:

- أي نوع من الأعمال؟

أجابته في هدوءٍ شديدٍ:

- التوريد.. توريد الهيروين النقي.

عقد حاجبيه في شدة، ولاحظ العصبية الشديدة، التي انتابت مساعده (جميل)، فراح يفرك كفيه في حِدَّةٍ، وقال في حذر:

- ولكن التعامل مع هذا المسحوق محظور، بأية صورة من الصور، و...

قاطعته في لهجة توحي بالضجر:

- اسمع يا رجل.. لست أهوى لعبة القط والفأر هذه، ولست مستعدة لإضاعة نصف عمري فيها، فلقد أجريت تحريات واسعة هذا الصباح، وعلمت منها أنَّك زعيم تجار هذا المسحوق، وأعلم الآن أنَّك تخشى أن أكون واحدة من فتيات الشرطة وضباطها، ولكنني لست كذلك.

ظلَّ يتطلع إليها في شكٍّ وحذرٍ، عاجزًا عن استيعاب أسلوبها المباشر، فاستطردت في سخرية:

- ولكنني شرطية سابقة.

اتسعت عيناه في دهشة، وهتف:

- شرطية؟!

ابتسمت متهكمة، وهي تجيب:

- نعم.. شرطية سابقة، ولا تجعل ذلك يرعبك إلى هذا الحد، فلقد استقلت من صفوف الشرطة منذ عام كامل، وأعمل الآن محامية، وأنوب عن شرطي سابق أيضًا، يعمل محاميًا كذلك، ولكن في الظاهر فقط، في حين يرغب في إدارة مشروع آخر في الباطن.

سألها في حذر:

- ما اسم هذا المحامي؟

أجابته في بساطة:

- (نديم).. (نديم فوزي).. ولكن هذا لا يهم الآن، المهم أن رئيسي هذا قد نجح في إدخال كمية كبيرة من الهيروين النقي إلى البلاد، ويحتفظ بها في مكان آمن للغاية، ويبحث عن موزع مضمون، أو مشترٍ جيد، يمكنه أن ينقده ثمن الكمية كلها فورًا، دون تسويف أو مماطلة، فما رأيك؟

ساد الصمت التام في حجرة مكتب (قاسم)، الذي راح يتطلع إلى (غادة) في إمعانٍ، وكأنَّما يحاوِل أن يستشف من ملامحها ما تخفيه أعماقها، إلا أنَّ وجهها بدا له جامدًا، على الرغم من الابتسامة الواثقة، والتي تعلو شفتيها، والتي جعلته يقول في النهاية:

- الواقع إنَّني لستُ..

قاطعته، وهي تنهض في هدوء:

- أظنُّك تحتاج إلى وقتٍ للتفكير.. أليس كذلك؟

ثم اتجهت نحو الباب، دون أن تنتظر جوابه، مستطردة:

- سآتي لمقابلتك في الصباح.. إلى اللقاء.

غادرت المكان، وأغلقت الباب خلفها في لا مبالاة، فحدَّق (جميل) في الباب المغلق في دهشةٍ واستنكارٍ، ثم التفت إلى زعميه، هاتفًا:

- هل ستتركها تتصرف هكذا؟

تطلَّع إليه زعيمه لحظات في صمتٍ، ثم لوَّح بكفه، قائلًا:

- بالتأكيد.

هتف (جميل):

- ولكنها هاجمتني، وهدَّدتك بمسدسها، و...

قاطعه في حِدَّةٍ:

- أنت غبي.

حدَّق (جميل) في وجهه في دهشة، وقال:

- أنا؟!

أجابه (قاسم) في حِدَّةٍ:

- نعم.. أنت غبي، وعصبي، وعنيف، وكلها صفات ستوقع

بك في قبضة الشرطة يومًا ما، ما لم تتغلب عليها...

ألم تستوعب الأمر بعد؟.. إنَّنا أمام فتاة تقدِّم لنا عرضًا، وهذا العرض لا يحتمل سوى احتمالين، لا ثالث لهما، فإما أنَّها خدعة من رجال الشرطة للإيقاع بنا، أو هو بالفعل تاجر جديد، يرغب في دخول عالمنا، وفي الحالتين يكون من الخطأ أن نهاجم هذه الفتاة، أو نقتلها، فسيصبح هذا دليلًا لإدانتنا في الحالة الأولى، وخطأ يفقدنا صفقة طيبة في الحالة الثانية.

عقد (جميل) حاجبه يدرس الأمر، ثم غمغم:

- هذا صحيح.

تراجع (قاسم) في مقعده، وهو يقول:

- وأنا لا أحب أن أخسر لعبة مع الشرطة، أو صفقة مع تاجرٍ جديدٍ، ولهذا ينبغي أن ألعب اللعبة بطريقتي أنا.

مال (جميل) نحوه، يسأله في اهتمام:

- كيف؟

أشعل (قاسم) سيجارته، ونفث دخانها في بطءٍ، وهو يجيب:

- تمامًا كما سيفعلها رجال الشرطة، لو كانوا في نفس موضعنا.

وابتسم مستطردًا في سخرية:

- سنتحرى الأمر أولًا.

وحملت ابتسامته شيئًا جديدًا..

ومخيفًا..

***

-٤-

وسقط الحاجز

لم يكن من السهل - بالتأكيد - أن ينزع (العقرب) قناعه، ويهدد حياته وعمله ومستقبله بهذه السهولة..

ولكن الموقف لم يكن أيضًا سهلًا أو هينًا..

لقد كان (العقرب) يواجه خصمًا لدودًا، لا يتمنى في حياته أكثر من فضح شخصيته، ولم يكن يحمل سلاحًا، في حين كان خصمه يصوب إليه واحدًا..

وكان الموقف يحتاج إلى لعبة ذكية..

أو إلى خدعة محكمة..

وفي هدوء، عقد (العقرب) ساعديه أمام صدره، وقال:

- يخيل إليّ أنَّك تمزح أيُّها العقيد.

جذب (مجدي) إبرة مسدسه في حزمٍ، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- هل تراهن؟

هزَّ (العقرب) كتفيه، على نحو يوحي باللامبالاة، وهو يقول:

- لستُ أميل إلى المراهنات، فهي تخالف الشريعة الدينية، أو الفطرة السليمة، ولكنك تعلم حتمًا أنَّني لن أنزع قناعي أبدًا.

قال (مجدي) في صرامة غاضة:

- ستنزعه، وإلا أطلقت عليك النار.

هزَّ (العقرب) رأسه في هدوء، وقال:

- لن تفعل أيُّها العقيد.. لن يمكنك أن تفعل؛ لأنَّك تلتزم بالقانون، الذي يمنعك من إطلاق النار على شخص، لم يحاول حتى مهاجمتك.

تطلَّع إليه (مجدي) في صمتٍ وحذرٍ وغضب، ثم قال في عصبية:

- أعلم ما ترمي إليه يا (نديم).. إنَّك تحاول دفعي إلى الاقتراب منك، لنزع قناعك بنفسي، عسى أن يمنحك هذا فرصة تجريدي من مسدسي، والفرار من هنا، قبل أن أكشف شخصيتك، ولكنك واهم، فهذا القناع، الذي تخفي به وجهك، هو الحاجز الذي يحول بيني وبين إدانتك دائمًا، فهو يثير الشك حول حقيقة شخصيتك، والشك يميل دائمًا إلى كفة المتهم، ولكنني مصرٌّ على إسقاط الحاجز هذه المرة، ونزع قناعك.

ثم التفت إلى (درويش)، واستطرد في لهجة آمرة:

- انتزع أنت قناعه يا رجل.

هتف (درويش) في ذعر:

- أنا؟!

أجابه (مجدي) في حِدَّةٍ:

- نعم.. أنت.. لا ترتجف هكذا.. إنَّه مجرد رجل عادي، على الرغم من مظهره المخيف، الذي سيتلاشى فور نزعك قناعه الأسود هذا.. هيا.. انزعه.

تردَّد (درويش) لحظة أخرى، إلا أنَّه لم يلبث أن وجد الفكرة مغرية بحق، فذلك المقنع وحده هو الذي يمثل خطرًا عليه، ونزعه القناع سيعني وقوع المقنع في قبضة العقيد (مجدي)، ونجاته هو بالتبعية..

ومنحته الفكرة الشجاعة اللازمة، فدار حول (نديم)، الذي ظل يعقد ساعديه أمام صدره، ومد (درويش) يده نحو القناع، وهو يقول:

- سأنزعه.

وفجأة حلَّ (نديم) ساعديه في حركة سريعة، وأمسك ذراعي (درويش) في قوة، وجعل من الرجل درعًا، يقيه رصاصات مسدس (مجدي)، وهو يقول:

- أحسنت يا رجل.

ثم اندفع بجسد (درويش) نحو (مجدي)..

وارتبك (مجدي) بحق..

لم يكن يتوقع هذا من (العقرب)..

ولم يكن مستعدًّا له..

ثم إنَّه لا يستطيع إطلاق النار على (درويش)..

ومع لحظات ارتباكه هذه، بلغه (العقرب)، ودفع (درويش) إلى صدره، وهو يقول:

- اعذرني على هذه الهدية السخيفة يا عزيزي (مجدي).

ثم قفزت قدمه تركل المسدس من يد (مجدي)، مستطردًا:

- ولكنك أجبرتني على منحك إيَّاه.

تفجَّر الغيظ من نفس (مجدي)، عندما فقد سلاحه وفرصته على هذا النحو، فأزاح (درويش) جانبًا في حِدَّةٍ، وهو يصرخ:

- لا.

ثم انقضَّ على (العقرب) مستطردًا:

- لن تخدعني مرة أخرى.

هوى بقبضته على فكٍّ (نديم) في قوة، ولكن بطلنا تلقَّى اللكمة على ساعده، وهو يقول:

- مهلًا يا (مجدي).

زمجر (مجدي)، وأطلق قبضته الثانية في وجه (العقرب)، الذي استطرد في حزمٍ:

- إنَّك ترتكب خطأً جسيمًا بشجارك معي.

ثم انحنى متفاديًا لكمة (مجدي)، الذي اختل توازنه، فدار جسده حول نفسه، و(العقرب) يتابع:

- في حين أنَّنا نسعى خلف هدفٍ واحدٍ.

ودفع ساعديه تحت ذراعي (مجدي)، ثم رفع كفيه لتتشابك أصابعهما، خلف عنق هذا الأخير، وهو يضيف:

- ومن الأفضل أن نتحد هذه المرة.

شلت هذه الوسيلة حركة (مجدي) تمامًا، فراح يطوح ذراعيه في الهواء، ويتلوى بجسده، محاولًا تخليص نفسه، وهو يصرخ في غضب:

- لن تهزمني إلى الأبد.. لن تفعل.

قال (نديم) في صرامة:

- كفى يا رجل.. من المؤكد أنَّك تهتم بإثبات براءة زميلك (إبراهيم)، وأنا أسعى خلف الهدف نفسه، ودليل البراءة يقف أمامنا على قدميه، ويشاهد شجارنا شامتًا.. أليست هذه سخافة منقطعة النظير؟.. أليس من الأفضل أن نتحد؛ لنفوز في هذه المعركة على الأقل؟..

توقف (مجدي) عن المقاومة، وهو يغمغم:

- نتحد؟!

كان من العسير عليه أن ينطق الكلمة، وأن يتصور محاولة تحويلها إلى حقيقة..

هناك حاجز رهيب، يحول بينه وبين (نديم)..

حاجز من الغضب والعناد..

حاجز مهيب عنيف..

ولم يكن من السهل أبدًا أن يتصور سقوط هذا الحاجز..

بل من المستحيل أن يفعل..

ولكن كلمات (نديم) كانت منطقية للغاية..

إنَّهما يقاتلان من أجل هدفٍ مشتركٍ..

ومن المحتَّم أن يتحدا هذه المرة..

ولم لا؟..

سيتحد مع (نديم) هذه المرة..

سيعاونه حتى ينجحا في إثبات براءة (إبراهيم)..

وبعدها يعاوِد قتاله معه..

وفي أعماقه سقط هذا الحاجز، ووجد نفسه يقول:

- نعم.. لن يضيرنا أن نتحد، ولو لمرة واحدة..

وهنا انتقل الشعور بالخطر إلى قلب (درويش)..

إنَّ اتحادهما يعني المزيد من القوة لكليهما..

ويعني سقوطه هو..

ولم يكن ليحتمل السقوط؟؟

والتفتت عيناه بسرعة إلى مسدس (مجدي)، الذي أسقطه

(العقرب)، فقفز يلتقطه في حِدَّةٍ، ورفعه نحو (مجدي) و(نديم)، وهو يهتف في عصبية:

- وفي هذه الحالة يختلف الأمر كثيرًا..

وبلا تردُّد، أطلق النار..

***

تألقت عينا (قاسم)، وشفت خلجاته عن ارتياحٍ بالغٍ، وهو يضع سماعة الهاتف على أذنه، ويستمع إلى شخص ما في انتباه شديد، قبل أن يقول:

- هذا عظيم.. عظيم جدًّا.

وأعاد السماعة إلى موضعها، وهو يبتسم ابتسامة واسعة، جعلت مساعده (جميل) يسأله في لهفة:

- أهي أخبار سارة؟

أجابه (قاسم) في انفعال:

- بالتأكيد.

ثم اعتدل في مقعده، وسيطر على أعصابه الثائرة، وهو يستطرد:

- لقد اتصلت برجلٍ يعمل لحسابنا، في مديرية الأمن، وسألته عن الرائد (نديم فوزي) هذا، فأخبرني أنَّه كان ضابطًا برتبة رائد، في صفوف الشرطة، ثم فصله وزير الداخلية السابق، منذ ما يقرب من العام؛ بسبب عنفه، وإصراره على تخطي القوانين والإجراءات القانونية في ضبط المتهمين، ولكن حاول (نديم) فتح مكتب خاص للتحريات، ولكنهم رفضوا طلبه، وسحبوا منه رخصة السلاح، فما كان منه إلا أن افتتح مكتبًا للمحاماة، وانضمت إليه زميلته (غادة)، بعد أن استقالت بدورها.

سأله (جميل) في اهتمام:

- إذن فلقد كانت الفتاة صادقة.

أومأ (قاسم) برأسه إيجابًا، وقال:

- هذا ما يبدو منطقيًا، فنحن أمام رجل يحمل كل المقت والكراهية لرجال الشرطة، بعد فصله من الخدمة، ومنعه من مزاولة عملٍ متميزٍ، ومن الطبيعي أن يسعى مثل هذا الرجل إلى ما يمنحه القوة، ولذة محاربة الشرطة في آنٍ واحدٍ، ومن الطبيعي أن يقوده هذا إلى عالمنا.

سأله (جميل) في شكٍّ:

- ولكن من أين له بالمال الكافي، للتجارة في الهيروين النقي؟

اتسعت ابتسامة (قاسم)، وهو يقول:

- والده واحد من أكبر مليونيرات (مصر).

أومأ (جميل) برأسه، وقال:

- إذن فقد ربحنا موردًا جديدًا.

مطّ (قاسم) شفتيه، وقال:

- أو قتيلًا جديدًا..

وانطلقت من بين شفتيه ضحكة..

ضحكة شيطانية..

***

-٥-

اللقاء

في الاتحاد قوة..

لم يؤمن (مجدي) في حياته كلها بهذه العبارة، مثلما يؤمن بها الآن، بعد ما حدث..

كان (درويش) يصوب إليه مسدسه، ويضغط الزناد..

ثم تحرك هو و(العقرب)..

انحنى الاثنان في حركة واحدة، جعلت الرصاصة تعبر فوق رأسيهما، ثم قفزت قدم (مجدي) تركل مسدس (درويش)، واندفع (العقرب) في الوقت ذاته نحو المجرم، وكال له لكمة كالقنبلة، طارت لها اثنتان من أسنان (درويش)، قبل أن يرتطم هو بالحائط، ثم يرتد ساقطًا على وجهه..

وبحركة سريعة، التقط (العقرب) المسدس، وأمسك

(درويش) من شعره، وجذبه في قوة، حتى أجبره على الوقوف، وهو يقول في صرامة:

- ستدفع ثمن هذا.

كانت الدماء تملأ فم (درويش)، والرعب يملأ قلبه، فهتف بمزيجٍ منهما، وهو يلوح بيده مذعورًا:

- الرحمة!! الرحمة!!

أمسك (مجدي) عنق (درويش) في قوةٍ، وقال في غضبٍ:

- أية رحمة تنشدها، بعد محاولتك قتلنا يا رجل؟

انهار (درويش)، هاتفًا في ضراعة:

- لم أكن أقصد هذا.. لم أكن أقصده.

أمسك (العقرب) يد (مجدي)، وهو يقول في هدوء:

- انتظر يا صديقي.. لقد أدرك هذا الوغد خطأه، وسيكفِّر

عنه باعترافٍ بسيطٍ.

رمقه (مجدي) بنظرة نارية، إلا أنَّه غمغم:

- أتظنه سيفعل؟

قال (العقرب) في هدوء:

- بالتأكيد.

ثم التفت إلى (درويش)، وقال في صرامة:

- هيا يا رجل.. إنَّنا ننتظر اعترافًا مكتوبًا.

زاغت عينا (درويش)، وهو يقول في ارتياع:

- لن أستطيع.. أقسم، إنَّني لا أستطيع هذا.. سيقتلونني لو فعلت.

كاد (مجدي) ينفجر غاضبًا، ويهيل طنًّا من السخط والسباب على رأس (درويش)، ولكنه لم يكد يفتح فمه

لينطق، حتى فوجئ بـ(العقرب) يعقد ساعديه أمام صدره، ويقول في هدوء:

- يبدو أنَّك قد أخطأت فهم الغرض الحقيقي من اعترافك يا رجل.

تطلَّع إليه (درويش) في شكٍّ وحيرة، فأكمل بنفس الهدوء:

- لسنا نحتاج إلى هذا الاعتراف لمعرفة الجاني الحقيقي، فنحن نعلم أنَّه (قاسم عبيد).

شحب وجه (درويش) في شدة، وتطلَّع (مجدي) إلى وجه (العقرب) في دهشة، وهذا الأخير يتابع:

- إنَّنا نعلم هذا، ولدينا ما يدين (قاسم)، ولكنه سيلقي بالتبعية كلها عليك، وسيثبت هذا بالدليل الذي لديه.. وأنت تدرك هذا الدليل.

انهار (درويش) تمامًا، عند هذه النقطة، وقال:

- أقسم أنَّني لم أقصد الإساءة إلى العقيد (إبراهيم).. لقد

أفهمني (جميل)، مساعد (قاسم) أنَّهم يحاولون إحراجه، وتهديده فحسب.. لم أكن أعلم أنَّهم يخططون لإلقائه في السجن.

قال (العقرب) في صرامة:

- أريد هذا الاعتراف مكتوبًا.. هل ستفعل؟

أجاب (درويش)، وقد بلغ انهياره ذروته:

- سأفعل.. سأفعل كل ما تطلبونه.

وأدلى باعترافٍ تفصيلي..

***

قرأ (مجدي) اعتراف (درويش) – للمرة الثانية – في انفعالٍ بالغٍ، ثم طواه ووضعه في جيبه في حرص، وهو يهتف:

- لقد حصلنا عليه.. حصلنا على الاعتراف.. لقد حققنا

انتصارًا رائعًا، وسريعًا للغاية.

أجابه (العقرب) في هدوء:

- ليس بعد يا صديقي.

تطلَّع إليه (مجدي) في حنق، وهتف:

- ماذا تعني بليس بعد هذه؟

بدا وكأنَّما تذكَّر بغتة غرابة الموقف، فاستطرد في حِدَّةٍ:

- ثم لماذا لم تُعِد إليَّ مسدسي، ما دمتَ تدعي أنَّنا سنتعاون هذه المرة؟

أجابه (العقرب) في بساطة:

- ربما لأنَّني لا أثق في حسن تعاونك يا صديقي.

صاح (مجدي) في غضبٍ:

- أي قول هذا؟.. أنسيتَ أنّني أمثّل القانون؟ وأنّني...؟

قاطعه في حزمٍ:

- ربما كان هذا هو السبب.

مرت لحظة ثقيلة من الصمت، و(مجدي) يتطلع إلى عيني (العقرب) في تحدٍّ، قبل أن يقول في عصبية:

- اسمع يا (نديم).. لقد سمحت لنفسي بالجلوس معك، وأنت تخفي وجهك بهذا القناع السخيف، ولكن هذا لا يعني أبدًا أن..

قاطعه (العقرب) مرة أخرى في حزمٍ:

- هل سنضيع الوقت في هذه السخافات؟

تفجّر الغضب في وجه (مجدي)، وبدا وأنه سينفجر بغتة كالقنبلة، لولا أن استطرد (العقرب) دون توقف:

- هذا الاعتراف، الذي حصلنا عليه من (درويش)، لا يكفي

لتبرئة (إبراهيم)، فمن الممكن أن يتراجع (درويش) عن اعترافه - بكل بساطة - أمام وكيل النيابة، بحجة أنَّنا قد أجبرناه عليه، وفي هذه الحالة سيصبح موقف (إبراهيم) أكثر ضعفًا.

ابتلعت هذه الكلمات غضب (مجدي) وثورته، فسأل في اهتمام:

- ماذا يمكننا أن نفعل إذن؟

أجابه (العقرب):

لا بدَّ لنا من الحصول على دليل إدانة قوي.

سأله بنفس الاهتمام:

- كيف؟

جلس (العقرب) على أول مقعد صادفه في هدوء، وهو يقول:

- سأخبرك كيف..

وراح يروي خطته..

***

لم يكد (نديم) يخطو داخل مكتبه، في الصباح التالي، حتى استقبله عم (أحمد)، عامل المكتب، وهو يقول في قلقٍ:

- هناك رجل ينتظرك في مكتبك يا أستاذ (نديم).

سأله (نديم) في هدوء:

- ولماذا تنطقها بكل هذا القلق يا عم (أحمد)؟

هزَّ (أحمد) كتفيه في حيرة، وقال:

- لستُ أدري يا أستاذ (نديم)، ولكن هيئة هذا الرجل لا تبدو مطمئنة أبدًا.

ربت (نديم) على كتفه، قائلًا:

- لا تجعل هذا يقلقك.

اتجه إلى حجرته بكل هدوء، وألقى نظرة على الرجل الذي يجلس داخلها، والذي نهض يستقبله، ومدَّ يده يصافحه، وهو يقول:

- صباح الخير يا (نديم) بك.. أنا (جميل).. سكرتير (قاسم بك عبيد).

فحصه (نديم) بنظرة سريعة، ثم اتجَّه خلف مكتبه، وسأله:

- لماذا لم يأتِ (قاسم عبيد) بنفسه؟

ابتسم (جميل) ابتسامة خبيثة، وقال:

- الكبار لا يبدؤون الخطوات الأولى يا (نديم) بك.

شبك (نديم) أصابع كفيه أمام وجهه، وراح يتطلع إلى (جميل) في برود، ثم سأله بغتة:

- ما رأي رئيسك في عرضي؟

ظلَّت نفس الابتسامة الخبيثة على شفتي (جميل)، وهو يجيب:

- لو أنَّك تقصد فكرة توريد البضاعة إلينا، فالفكرة مقبولة، ولكن..

صمت لحظات، فسأله (نديم):

- ولكن ماذا؟.. أينبغي أن أسجل اسمي في سجل الموردين؟

قهقه (جميل) ضاحكًا، وقال:

- دعابة طريفة يا (نديم) بك.

ثم تلاشى مرحه بغتة، وأضاف في جدية:

- ولكن مثل هذه الأمور تعتمد على عدة نقاط.

سأله (نديم):

- مثل ماذا؟

استعاد (جميل) تلك الابتسامة الخبيثة، وهو يقول:

- مثل سعر البضاعة، ونوعيتها، وطريقة السداد.

مرَّت لحظة من الصمت، وكأنَّما يزن (نديم) الأمر في رأسه، ثم سأل (جميل):

- هل زعيمك رجل شريف؟

أجابه (جميل) في حماس:

- إنَّه رجل شريف للغاية.

بدا الجواب ساخرًا مضحكًا، بالنسبة لـ(نديم)، إلا أنَّه لم يبتسم، وهو يلقي سؤاله التالي:

- أتعني أنَّه رجل مضمون؟

أجابه (جميل) بنفس الحماس:

- نعم.. مضمون تمامًا.

مضت لحظة أخرى من الصمت، ثم قال (نديم):

- اسمع يا (جميل).. أبلغ رئيسك أنَّني أرغب في إتمام هذه الصفقة في خلال يومين فحسب؛ لأنَّني سأغادر البلاد بعدها، وأريد إتمام كل الإجراءات المطلوبة في هذه الفترة.

ثم فتح درج مكتبه، والتقط منه كيسًا صغيرًا، يمتلئ بالمسحوق الأبيض، وألقاه نحو (جميل) مستطردًا:

- هذه هي العينة المطلوبة، أما السعر، فها هو ذا.

خطَّ الرقم على ورقة صغيرة، ودفعها أمام عيني (جميل)، وهو يضيف في حزمٍ:

- وهذا يعني أن الصفقة كلها تساوي مليونين من الجنيهات، تُدفع نقدًا وعدًّا، عند تسلم البضاعة.

رفع (جميل) حاجبيه في دهشة، وهو يطالع الرقم، الذي

خطَّه (نديم) على الورقة، ثم لم يلبث أن أخفى دهشته، ودسَّ الورقة في جيبه، وابتسم قائلًا:

- لا بأس يا (نديم) بك.. انتظر رد الزعيم الليلة.

أجابه (نديم) في صرامة:

- بل بعد ساعتين لا أكثر.

تطلَّع إليه (جميل) في دهشة، فتراجع (نديم) في مقعده، وسأله:

- هل ترى هذا نوعًا من الضغط؟

ابتسم (جميل)، وقال في هدوء:

- لا.. لا توجد أية ضغوط.

ثم نهض مستطردًا:

- لا بأس يا (نديم) بك.. سيأتيك الجواب بعد ساعتين.

وصافحه في قوة ثم انصرف.

وعلى الرغم من أنَّ وجه (نديم) ظلَّ جامدًا، إلا أنَّ عينيه قد حملتا ابتسامة واسعة، وهو ينهض من خلف مكتبه، ويتجه إلى حجرة (غادة) المجاورة..

وابتسمت (غادة)، عندما رأته يدلف إلى حجرتها، وقالت:

- كان حديثك معه رائعًا.

أومأ برأسه في حركة هادئة، وسألها:

- هل سجلت المحادثة كلها؟

ابتسمت قائلة:

- كلَّ حرفٍ منها.

ثم أضافت مشيرة إلى جهاز الكمبيوتر:

- وسيقوم الكمبيوتر بالباقي وحده.

هزَّ كتفيه، وقال:

- إنَّه عصر التكنولوجيا بالتأكيد.

وشرد بصره، وهو يضيف:

- وسنرى من سيربح المعركة هذه المرة.. التكنولوجيا أم تلك المملكة..

مملكة الشر..

***

-٦-

وبدأت اللعبة

التقطت عينا مراقب المنطقة، الذي يعمل لحساب تجار المخدرات في (الباطنية)، سيارة الشرطة، التي دخلت إلى الحي فأطلق صفيرًا مميزًا، نقله مراقب ثان إلى ثالث، وأطلقه الثالث في قلب الحي، معلنًا وصول سيارة الشرطة، فتحرك الجميع في سرعة، واختفت آثار المخدرات في دقائق، قبل أن تقتحم السيارة قلب السوق، وتتوقف أمام متجر (قاسم عبيد) مباشرة..

لم يكن داخل السيارة سوى رجل واحد، هو العقيد (مجدي)، الذي غادر السيارة في حركة حادة، وأدار عينيه في أهل الحي في صرامة، قبل أن يركزهما على وجه (قاسم)، ويقول في خشونة:

- أنت (قاسم عبيد).. أليس كذلك؟

التقط (قاسم) نفسًا عميقًا، من مبسم نرجيلته الطويل،

ونفثه في الهواء، قبل أن يقول في استهتارٍ:

- بلى.. أنا (قاسم عبيد).. هل من خدمة يمكنني تقديمها؟

أمسكه (مجدي) من قميصه بغتة، وأجبره على النهوض في عنفٍ، وهو يقول في غضبٍ صارمٍ:

- انهض عندما تتحدث إليّ.

تحفَّز (جميل) لحظة، ثم لم يلبث أن تذكَّر أن هذا الذي يهين زعيمه رجل شرطة، فتراجع في توترٍ، في حين قال (قاسم) في هدوء:

- لقد نهضتُ بالفعل.. ماذا تريد مني بالضبط أيُّها العقيد؟

حدَّق (مجدي) في عينيه مباشرة، وهو يقول:

- أريد أن أرى كبير تجار السموم في هذه المنطقة؟

ابتسم (قاسم) في سخرية، وقال:

- وما شأني أنا بهذا؟

جذبه إليه (مجدي) مرة ثانية في عنفٍ، وقال:

- اسمع يا رجل ... اسمعني جيدًا .. إنَّني أبغض تجار المخدرات، وأعلم أنَّه ما من دليل لإدانتك حتى الآن، ولكنني سوف أعثر على الدليل يومًا.

قال (قاسم)، دون أن يفارقه هدوؤه:

- يلوح لي أنَّك قد أخطأت هدفك أيُّها العقيد.

أجابه (مجدي) في حِدَّةٍ:

- لا.. لم أفعل.

ثم دفعه في غلظة، وأعاده إلى مقعده، واستدار يهم بالانصراف، إلا أنَّه لم يلبث أن التفت إليه في حِدَّةٍ:

- قل لي يا رجل: لقد بلغني أن شحنة من الهيروين النقي، تبلغ عشرة كيلو جرامات قد دخلت البلاد منذ أيام.. ما

معلوماتك عنها؟

قال (قاسم) في برود:

- لستُ أعلم عنها شيئًا.

رمقه (مجدي) بنظرة نارية، ثم قفز داخل سيارة الشرطة، وانطلق بها مبتعدًا، وهنا هتف (جميل) في حِدَّةٍ:

- إنَّه ضابط مغرور.

ابتسم (قاسم) وقال:

- ولكنه أفادنا كثيرًا.

تطلَّع إليه (جميل) في دهشة، وقال:

- كيف؟

أجابه (قاسم) مبتسمًا:

- لقد أخبرنا بأمر الكيلو جرامات العشرة، التي أدخلها (نديم فوزي) إلى البلاد، وهذا يعني أن الصفقة موجودة بالفعل.

ثم مد يده على (جميل)، مستطردًا:

- أرني العينة.

ناوله (جميل) كيس المسحوق الصغير، فمزَّق (قاسم) طرفه، وسكب القليل منه على سبابته، ثم تذوق بطرف لسانه في حذرٍ، وابتسم قائلًا:

- إنَّه نوع نقي رائع.

ثم أعاد الكيس إلى (جميل)، مستطردًا:

- والسعر جيد جدًّا.

هتف (جميل):

- بل هو ممتاز.. لقد أدهشني للغاية.

ثم انعقد حاجباه دون سبب واضح، وهو يضيف:

- في رأيي إنَّها صفقة رائعة يا زعيمي.. سنربح منها مليون جنيه على الأقل.

أومأ (قاسم) برأسه موافقًا، وقال:

- هذا صحيح.

ثم اعتدل قائلًا في حسمٍ:

- سنتمِّم الصفقة الليلة.

هتف (جميل) في دهشة:

- الليلة؟!

التقط (قاسم) نفسًا من مبسم نرجيلته، وقال:

- نعم.. الليلة.. ألم تقل إنَّ (نديم) هذا يرغب في إتمام الصفقة بسرعة.

غمغم (جميل) في تردُّد:

- نعم.. ولكن..

قاطعه (قاسم) في حزمٍ:

- لا يوجد لكن.. إنَّها صفقة رائعة، ولن أضيع الوقت، خشية أن يجد (نديم) هذا مشتريًا آخر.

هزَّ (جميل) كتفيه مستسلمًا، وقال:

- كما تأمر يا زعيمي.

ابتسم (قاسم) في سعادة، لهذه الصفقة الجيدة، نفث دخان النرجيلة في الهواء، ثم قال:

- اذهب إلى (نديم) هذا، وأخبره أنَّني أوافق على إتمام الصفقة الليلة.

نهض (جميل) قائلًا:

- سأفعل يا زعيمي.

لم يدرك لحظتها أنَّه يلعب نفس اللعبة..

لعبة (العقرب)..

***

أطلقت (غادة) زفرة قوية، من أعماق صدرها، وهي تدلف إلى مكتب (نديم)، وهتفت وهي تلقي إليه حقيبة صغيرة:

- ها هو ذا.

التقط (نديم) الحقيبة، في حين ألقت هي جسدها على أول مقعد صادفها، وهي تقول في حِدَّةٍ:

- لم أشعر بمثل هذا التوتر في حياتي كلها.

فتح (نديم) الحقيبة، وتطلّع إلى أكياس المسحوق الأبيض داخلها، وقال في اهتمام:

- أهو هيروين نقي؟

أجابته في حِدَّةٍ:

- نعم.. من أنقى أنواع الهيروين، ولكنني لم أتصوَّر نفسي أبدًا في مثل هذا الموقف.. تصوَّر أن أذهب إلى تاجر مخدرات، وأبتاع نصف كيلوجرام من الهيروين!!.. ماذا كان يمكن أن يحدث، لو أُلقي القبض عليّ، وأنا أحمل هذه الحقيبة.

لم يُجِب على الفور، وإنَّما أعاد إغلاق الحقيبة في إحكام، وقال:

- من حسن الحظ أن هذا لم يحدث.

هتفت معترضة:

- أهذا كل ما أمكنك قوله؟

لمحت على شفتيه شبح ابتسامة، لم يلبث أن تلاشى بسرعة، فأطلقت زفرة أخرى، وغمغمت في سخطٍ:

- من أسوأ الأمور أن تعمل امرأة مع رجل، لا يشعر أنَّها كذلك.

ثم اعتدلت وسألته:

- أين ستحتفظ بهذه الحقيبة؟

أجابها في بساطة:

- هنا.

هتفت في دهشة:

- هنا؟!.. ماذا لو استغلَّ (مجدي) الموقف ليوقع بك؟.. أليس من المحتمل أن تجده يقتحم المكتب الآن، على رأس وحدة كاملة من وحدات إدارة مكافحة المخدرات، ويضبط الهيروين، و...؟

قاطعها في هدوء:

- لن يفعل.

صاحت:

- عجبًا!!.. هل تثق به إلى هذا الحد؟

تطلع إليها لحظة في صمت، وقال:

- (مجدي) رجل شريف، وهو لن يوقع بي بتهمة زائفة.

قالت في حِدَّةٍ:

- ولكنه مستعد لدفع نصف عمره للإيقاع بك.

اعتدل في مقعده، وقال في هدوء:

- لأنه يتصوَّر عملي في شخصية (العقرب) يخالف القانون.

حدَّقت فيه بدهشة، ثم لم تلبث أن لوَّحت بكفها، وقالت في حِدَّةٍ:

- فليكن.. إنَّك تمنح (مجدي) ثقة لا يستحقها في رأيى، فأنا

لا أثق به قط.

تراجع (نديم)، وقال في بساطة:

- ولكنه لا يعلم بأمر وجود الهيروين هنا.

هتفت في دهشة:

- ألم تخبرني أنَّه يعلم كل تفاصيل الخطة؟

لوَّح بكفه قائلًا:

- ليس كلها.

ابتسمت ابتسامة كبيرة، لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة عالية، وهي تقول:

- هذا هو السبب الحقيقي إذن.

لم تكد تتم عبارتها حتى سمع الاثنان دقات هادئة على الباب، فوضع (نديم) الحقيبة جانبه، وقال:

- ادخل يا عم (أحمد).

دخل عم (أحمد) إلى الحجرة، وقال في ضيق:

- لقد عاد ذلك الرجل يا أستاذ (نديم)، وهو يطلب مقابلتك.

قال (نديم) في هدوء:

- دعه يدخل.

تراجع عم (أحمد)، وأفسح في الطريق لـ(جميل)، الذي اندفع داخل الحجرة، ومد يده عن آخرها ليصافح (نديم)، وهو يقول:

- صباح الخير مرة أخرى يا (نديم) بك.. إنَّني..

بتر عبارته في حِدَّةٍ، عندما وقع بصره على (غادة)، التي ابتسمت في سخرية، فانعقد حاجباه، وارتسمت على ملامحه البغضاء، وقال (نديم) في هدوء:

- لا تقلق.. إنَّها زميلتي الآنسة (غادة).

غمغم (جميل) في حِنق:

- لقد سبق أن التقينا.

ضمت (غادة) قبضتها، وقالت في سخرية:

- وكان لقاءً عنيفًا.

انقبضت قبضتا (جميل) في تحفُّز، وتقافز الغضب من عينيه، فأسرع (نديم) يسأله:

- هل تحمل ردَّ رئيسك؟

التفت إليه (جميل)، ولانت ملامحه بغتة، وتراخت قبضتاه، وأجاب:

- نعم.

أشار إليه (نديم) بالجلوس، وهو يقول في بساطة:

- وما ردُّه؟

جلس (جميل)، وأجاب في تعالٍ:

- لقد وافق على إتمام الصفقة الليلة، وسيدفع المبلغ نقدًا، في الساعة الـ...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- اترك لنا تحديد هذا.

انعقد حاجبَا (جميل)، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- لن يسمح الزعيم بهذا.. إنَّه لن يثق بكما مثلي، و...

قاطعه (نديم) مرة أخرى في هدوء:

- اطمئن.. أنت نفسك ستخبر الزعيم بالترتيبات.

ولكن (جميل) لم يشعر بالارتياح، وهو يتطلع إلى عيني (نديم)..

كان هناك نظرة غامضة مخيفة في عيني (نديم)..

نظرة عقرب..

***

-٧-

الخدعة

ارتفع رنين الهاتف، في متجر (قاسم عبيد)، فالتقط (قاسم) سماعة الهاتف، ووضعه على أذنه، قائلًا في لهفة:

- مَن المتحدث؟

أتاه صوتٌ هادئٌ رصينٌ، يقول:

- أنا (نديم).. (نديم فوزي).

ارتبك (قاسم) لحظة أمام المفاجأة، ثم قال:

- وماذا تريد يا (نديم) بك؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- إنَّني أتحدَّث إليك بشأن صفقتنا الـ...

قاطعه (قاسم) في حِدَّةٍ:

- انتظر يا (نديم) بك.

ساد الصمت تمامًا، على الجانب الآخر للهاتف، فاستطرد في لهفة قلقة:

- ضع سماعة الهاتف يا (نديم) بك، وسأتصل بك أنا.

سمع صوت سماعة الهاتف تُوضع، ثم أعقب هذا صوت الأزيز المتصل للهاتف، فأعاد سماعته إلى موضعها بدوره، وهو يغمغم:

- شديد الالتزام هو (نديم) هذا.

واتجه إلى حجرة مكتبه، وفتح درج المكتب، والتقط منه سماعة هاتفٍ سريٍّ، وضغط أزرار رقم مكتب (نديم)، وهو يتابع:

- من حسن الحظ أنَّني حصلت على رقم هاتف ذلك المحامي.

سمع صوت رفع سماعة الهاتف من الطرف الآخر، فقال:

- مرحبًا يا (نديم) بك.. معذرة.. خشيت أن يكون هذا الهاتف مراقبًا، ولهذا أتحدَّث إليك من هاتفٍ آخر.

قال (نديم) بهدوئه المعهود:

- أأنت واثق من أن الهاتف الآخر غير مراقب؟

ابتسم (قاسم) وقال:

- بالتأكيد.. إنَّه خطٌّ خاصٌّ، ولقد دفعت ثروة، من أجل الحصول عليه.

ثم تلاشت ابتسامته، وذابت مع جديته وقلقه، وهو يستطرد:

- ولكن ماذا تريد بشأن الصفقة يا (نديم) بك؟.. ألم يصلك (جميل) بعد؟

أجابه (نديم):

- لقد وصل، ولكنني أريد إتمام الصفقة في مكان آخر وبحضورك شخصيًّا.

عقد (قاسم) حاجبيه، وامتلأت نفسه بالشكِّ، وهو يجيب في حذرٍ:

- ولماذا حضوري شخصيًّا؟

أجابه (نديم) في برود، لا يخلو من الصرامة:

- لأنَّني أرى نفسي زعيمًا، ولست أحب التعامل شخصيًّا إلا مع الزعماء.. ثم إنَّنا لم نلتق من قبل، والمفروض أن يتعارف مَن يتعاملون معًا، في مثل هذا النوع من البضائع.

بدت كلماته مقنعة إلى حدٍّ ما، فغمغم (قاسم):

- أنت على حقٍّ.

ثم عادت الريبة تملأ نفسه، فاستطرد بنفس الحذر:

- ولكن أين هذا المكان، الذي تريد أن نلتقي فيه؟

أجابه (نديم):

- فيلتي في (الهرم).

ردّد (قاسم) في دهشة وشك:

- فيلتك؟!

قال (نديم) في بساطة:

- نعم.. إنَّها مكان مأمون، وهي ليست مسجلة باسمي، ثم إن لها قبوًا سريًا، يصلح للاختباء، إذا ما داهمتنا الشرطة، كما يصلح لإخفاء البضاعة وقت اللزوم.

قال (قاسم) في حذر:

- ومن أدراك أنَّها ليست مراقبة؟

سأله (نديم):

- أخبرني أنت: لماذا لم تفترض أن هاتفي مراقب؟

أجابه (قاسم):

- لأنَّك وجه جديد على الساحة، ولا يوجد مبرر لمراقبة هاتفك.

أتاه صوت (نديم) باردًا كالثلج، وهو يقول:

- وهذا هو الجواب نفسه، بالنسبة لمراقبة الفيلا.

حملت أسلاك الهاتف صمتًا طويلًا، استغرق دقيقة كاملة من الطرفين، قبل أن يقول (قاسم) في قلق:

- لو أن (جميل) استطاع رؤية الفيلا أولًا، فـ...

قاطعه (نديم):

- لقد رآها، وها هو ذا يجلس معي، فأنا أتحدث في وجوده.

تمتم (قاسم) في دهشة:

- في وجوده؟!

ثم أضاف في دهاء:

- دعني أتحدث إليه إذن.

سمع صوت (نديم)، وهو يقول في بساطة:

- إنَّه يريد أن يتحدَّث إليك يا (جميل).

مضت لحظة من الصمت، ثم سمع صوت (جميل) يقول:

- أنا (جميل).

ميَّز صوته في وضوح، فسأله في همس:

- قل لي: هل يجبرك هذا الرجل على التحدث إليَّ، أو قول شيء يخالف الحقيقة؟

أتاه صوت (جميل)، يقول في هدوء:

- لا.. لا توجد أية ضغوط.

كانت اللهجة التي يتحدث بها مطمئنة حقًّا، مما بعث الكثير من الارتياح في نفس (قاسم)، فاعتدل في مقعده، وسأل مساعده في اهتمامٍ:

- أخبرني يا (جميل)، هل تظنُّ أن (نديم فوزي) هذا أهل للثقة؟

سمع صوت (جميل)، يقول في حماس:

- إنَّه رجل شريف للغاية.

سأله:

- وماذا عن الفيلا؟.. هل يبدو لك المكان آمنًا؟

وبنفس الحماس، سمع (جميل) يقول:

- نعم.. مضمون تمامًا.

تنهَّد (قاسم) في ارتياح، وقال:

- فليكن.. دعني أتحدث مع (نديم) بك.

مضت لحظة أخرى من الصمت، ثم سمع صوت (نديم) يقول:

- حسنًا.. هل اتخذتَ قرارك؟

سأله (قاسم):

- متى تحبُّ إتمام الصفقة يا (نديم) بك؟

أجابه (نديم):

- في السابعة مساءً.. مع غروب الشمس.. سأخبرك عنوان الفيلا.

استمع إليه (قاسم) في اهتمام، ثم قال:

- فليكن يا (نديم) بك.. سأحضر في الموعد تمامًا ومعي المبلغ.

أنهى الاتصال، وصمت لحظات، وهو يحك ذقنه بسبابته، ثم لم يلبث أن فتح درجًا آخر في مكتبه، والتقط منه مسدسًا من نوع (البيرتا)، وجذب مشطه، ليتأكد من حشوه، ثم دسه في جيبه، متمتمًا:

- الحذر واجب في مثل هذه الأمور.

وتحسَّس المسدس الراقد في جيب سترته، وكأنَّما يحاول أن يستمد منه شعورًا بالأمان، إلا أنَّ شيئًا ما في أعماقه كان يشعر بالقلق..

وبالخوف..

***

استنشقت (غادة) الهواء في عمق، في شرفة فيلا (الهرم)، وأغلقت عينيها في استمتاع، ثم التفتت إلى (نديم) تقول:

- ما أمتع الهواء هنا!! ألا يبدو لك المشهد والجو رائعين؟

قال في هدوء:

- إلى حدٍّ ما.

هتفت مستنكرة:

- إلى حدٍّ ما؟!.. ألم تعد تستمتع بالجمال؟.. انظر مرة أخرى يا رجل، وحاول أن...

قاطعها في ضجر:

- الوقت والظروف لا يناسبان هذا.

مطّت شفتيها، قائلة:

- ربما.

ثم زفرت في ضيق، وسألته:

- كم بقي من الوقت، قبل وصول (قاسم)؟

تطلع إلى ساعته، وأجاب:

- خمس دقائق فقط.. هذا لو أنَّه ممن يلتزمون بمواعيدهم.

تطلعت إلى الطريق، وقالت:

- يبدو أنَّه كذلك.. ها هو ذا.

نظر إلى حيث تتطلع هي، ورأى سيارة (قاسم) تقترب بسرعة، فقال في اقتضاب، حمل شيئًا من الحماس الذي يملأ عروقه:

- عظيم.

وأضافت (غادة)، وهي تسبل جفنيها في تراخ:

- كل شيء يسير على ما يرام.

توقفت سيارة (قاسم) (المرسيدس) الحمراء أمام الفيلا،

وهبط هو منها في حذر، وتلفَّت حوله، قبل أن يلتقط حقيبته، ويتجه نحو الفيلا، حيث استقبله (نديم)، وصافحه في هدوء، قائلًا:

- أهلًا بك في الفيلا يا سيد (قاسم).

ابتسم (قاسم) في خبثٍ، وهو يقول:

- أهلًا بك أنت في عالمنا يا (نديم) بك.

قاده (نديم) إلى ردهة الفيلا، وجلس الاثنان على مقعدين متقابلين، وأشعل (قاسم) سيجارته، وهو يقول:

- هل البضاعة جاهزة؟

أشار (نديم) إلى حقيبة كبيرة، وقال:

- ها هي ذي.

همَّ (قاسم) بالنهوض من مقعده، لإحضار الحقيبة، ولكن (نديم) سأله في حزمٍ:

- وماذا عن المال؟

دفع (قاسم) حقيبته إلى (نديم)، وقال:

- ها هو ذا.

التقط (نديم) الحقيبة، وفتحها، وتطلَّع في لا مبالاة إلى أوراق النقد المكدسة داخلها، ثم قال لـ(قاسم):

- يمكنك أخذ الحقيبة.

نهض (قاسم) من مقعده، وجذب إليه حقيبة (نديم)، ثم انعقد حاجباه، وقال في حِدَّةٍ:

- هذه الحقيبة خفيفة الوزن.. من المستحيل أن تحوي الكمية كلها.

هزَّ (نديم) كتفيه، وقال:

- بالتأكيد.. الكمية مقسمة على عدد من الحقائب، وكل واحدة تحوي نصف كيلو جرام من المسحوق، وستتبعك

عربة تحمل الحقائب كلها.. هذه عينة فحسب.

قال (قاسم) في حِدَّةٍ:

- لماذا لا أحصل على الكمية كلها؟

تراجع (نديم) في مقعده، وقال:

- لأنَّك مُراقب، كما سبق أن أخبرتني يا (قاسم)، ومن الخطر أن تحمل معك جرامًا واحدًا من الهيروين.

ثم أشار إليه، مستطردًا في لهجة آمرة:

- افحص الحقيبة التي تحملها يا رجل.. اطمئن إلى جودة البضاعة.

فتح (قاسم) الحقيبة، وألقى نظرة سريعة على المسحوق، ثم أغلقها، وابتسم قائلًا:

- أنا أثق بك يا (نديم) بك.. وأهنئك على حذرك الزائد هذا، فهو أفضل جواز للمرور والبقاء في عالمنا.

أومأ (نديم) برأسه في وقارٍ، ثم سأله في هدوء:

- الآن أصبح الهيروين ملكك.. أليس كذلك؟

ابتسم (قاسم) ابتسامة واسعة، وهو يقول:

- بلى.. كل الهيروين ملكي.

لم يكد يتم كلمته، حتى برز (مجدي) من الحجرة المجاورة وصوَّب إليه مسدسه، وهو يقول في شماتة ظافرة:

- سأعتبر هذا اعترافًا.

واتسعت عينا (قاسم) في رعبٍ..

***

-٨-

العقارب

تجمَّدت أطراف (قاسم)، واتسعت عيناه في ذهول، وتفجَّر بركان من الغضب والسخط في أعماقه، وهو يحدِّق في وجه (مجدي) ومسدسه، وكاد يصرخ في وجه (نديم)، ويتهمه بخيانته وخداعه، إلا أنَّه فوجئ بـ(نديم) يهبُّ من مقعده، ويهتف في غضب:

- لقد خدعتني يا (قاسم).. أنت أوقعتني في قبضة الشرطة.

التفت إليه (قاسم) في ذهول، وهو يهتف:

- خدعتك؟!.. أنا؟!

ولكن (مجدي) ابتسم في سخرية، وقال:

- بل خدعه هاتفه السري يا (نديم).. لقد تصوَّر أنَّه آمنٌ من

المراقبة، في حين كنتُ أنا أراقبه، وعلمت منه موعد ومكان صفقتكما.

صاح (نديم) في وجه (قاسم):

- أرأيت أيُّها الغبي.. أرأيت ما فعله بنا غرورك.

غمغم (قاسم) في ذهول:

- أنا.. أنا..

إلا أنَّه لم يلبث أن دفع حقيبة الهيروين بعيدًا عن صدره، وهو يستطرد في ارتياع:

- لا صلة لي بهذه الحقيبة أو محتوياتها.. إنَّها حقيبته.

قال (مجدي) في صرامة:

- البصمات فوقها ستحدِّد صاحبها يا (قاسم).

اتسعت عينا (قاسم) في رعبٍ، وفرد راحتيه أمام وجهه،

وراح يحدِّق فيهما في حنق، ثم لم يلبث أن أخفى بهما وجهه، وهو يهتف في مرارة:

- اللعنة!

مزَّق صوت (مجدي) البقية الباقية من أعصابه، وهو يقول في شماتة:

- لقد وقعت يا (قاسم).. انتهيت.. ستقضي ما تبقَّى من عمرك خلف القضبان.. أو يلتف حبل المشنقة حول عنقك.

تحسَّس (قاسم) عنقه في رعبٍ هائلٍ، في حين قال (نديم) في حِدَّةٍ، لا تتفق أبدًا وشخصيته الهادئة الرصينة:

- لن أسمح بهذا أبدًا.

التفت إليه (مجدي)، وقال:

- لقد انتهيت أنت أيضًا يا (نديم).. لماذا اخترت هذا الطريق الشائك؟.. كان من الممكن أن تحمل الآن رتبة المقدم في صفوف الشرطة، لولا..

قاطعه (نديم) فجأة في حزمٍ:

- كم تطلب يا (مجدي)؟

سأله (مجدي) في دهشة:

- ماذا تعني؟!

أجابه في حِدَّةٍ:

- أنت تعلم أن والدي من أكبر مليونيرات (مصر)، وهو لن يسمح أبدًا بأن يُلقى ابنه الوحيد في غياهب السجون، وأنا واثق أنَّه سيمنحك ثروة ضخمة، لو أنَّك تعاميت عمَّا رأيته الآن.. ما رأيك؟

بدا التردد على وجه (مجدي)، فانتعش أملٌ محتضر في أعماق (قاسم)، وقال في لهفة:

- أنا أيضًا مستعد لمنحك ما تطلب، مقابل هذا.. ما رأيك بربع مليون.. نصف مليون.. ماذا تطلب بالضبط؟

أمسك (مجدي) ذقنه بسبابته وإبهامه، وبدا وكأنَّه يفكر جديًّا في العرض، إلا أنَّه لم يلبث أن هزَّ رأسه في شدة، واستعاد صرامته، وهو يقول:

- لا.. لا يمكنني قبول مثل هذه العروض.

قال (نديم):

- لماذا؟.. إنَّك لن تربح من عملك في الشرطة، حتى نهاية عمرك، ربع هذا المبلغ.

ثم أضاف في صرامة:

- ثم إنَّنا نستطيع تدمير مستقبلك، حتى ونحن داخل السجن.

بدا القلق والتردد على وجه (مجدي)، وقال:

- تدمير مستقبلي؟!.. ما من تاجر مخدرات يمكنه تدمير رجل شرطة.

وتضاعف القلق في ملامحه، وهو يستطرد:

- أليس كذلك؟

لاح في قلقه بادرة أمل لـ(قاسم)، فاندفع يقول:

- مَن قال هذا؟.. بالتأكيد يمكننا تدمير مستقبل أي ضابط شرطة.

هزَّ (مجدي) رأسه في قلق، وقال:

- لم يحدث هذا من قبل.

هتف (قاسم):

- بل حدث.. أنت تعرف قضية (إبراهيم علوان).. لقد كنتُ أحد شهودها.. فلتعلم إذن أنَّنا نحن لفقنا له هذه التهمة..

خفض (مجدي) مسدسه، وهو يهتف:

- أنتم؟!

أجابه (قاسم) في حِدَّةٍ:

- نعم.. نحن.. لقد رشونا أمين مخازن المضبوطات، وجعلناه يوقع بالعقيد (إبراهيم).

وبدا (مجدي) حائرًا متوترًا بضع لحظات، ثم لم يلبث أن رفع مسدسه مرة أخرى في وجه (قاسم)، وقال:

- لا.. لستُ أصدِّق هذا.

شعر (قاسم) أن فرصته الوحيدة في النجاة هي إرهاب (مجدي)، فقال في حزمٍ:

- إنَّ لدي الدليل.

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وقال:

- أنت كاذب.

وهنا أشار (نديم) إلى (قاسم) في حزمٍ، وقال لـ(مجدي):

- ماذا ستفعل إذن، لو رأيت الدليل على أن (قاسم) استطاع تدمير مستقبل (إبراهيم علوان) هذا؟.. هل تكتفي بالمال، وتتركنا نذهب إلى حال سبيلنا.

أجابه (مجدي) في حسمٍ:

- لن يكون أمامي سوى هذا.

تهللت أسارير (قاسم)، وهتف:

لا بأس.

ثم دسَّ يده في جيب سرواله، وأخرج منه شريطًا صغيرًا، ناوله إلى (مجدي) قائلًا:

- ها هو ذا الدليل.

التقط (مجدي) الشريط، وقلبه بين أصابعه، قائلًا:

- ما هذا بالضبط؟

أجابه (قاسم):

- شريط فيديو من مقياس ثمانية ملليمترات الجديد، ستجد فيه تسجيلًا بالصوت والصورة، لـ(درويش)، أمين مخازن المضبوطات، بمديرية أمن (القاهرة)، وهو يروي ما فعله بالهيروين، والوسيلة التي ألصق بها التهمة بالعقيد (إبراهيم)، ثم وهو يتسلَّم الجزء الثاني من الرشوة.. لقد كنت أحتفظ بهذا الشريط، لضمان صمت (درويش)، ولكنه حقَّق فائدة أخرى.

ابتسم (مجدي)، وقال وهو يدس الشريط في جيبه:

- بالتأكيد يا (قاسم).. لقد حقَّق فائدة لن تتصورها أبدًا.

ثم التفت إلى (نديم)، وقال:

- أليس كذلك يا صديقي؟

تفجَّر الذهول في أعماق (قاسم)، مختلطًا بغضبٍ لا حدودَ له، عندما استعاد(نديم) كل هدوئه، وجلس في بساطة، قائلًا:

- بالتأكيد يا عزيزي (مجدي).. لقد نجحت اللعبة.

ردَّد (قاسم) في ذهول:

- اللعبة؟!

ثم انهار على مقعده، مستطردًا:

- إذن فكل هذا مجرد لعبة؟!.. خدعة للحصول على الشريط؟

أجابه (نديم) في بساطة:

- هذا صحيح.

راح (قاسم) ينقل بصره بين وجهي (نديم) و(مجدي) في ذهول، ثم هتف:

- ولكن كيف؟.. لقد تحريت عنك جيدًا!!

أجابه (مجدي):

- كل المعلومات التي حصلت عليها، بشأن (نديم)، سليمة، فلقد فصل من خدمة الشرطة بالفعل.

لم يستطع (قاسم) استيعاب هذه النقطة في سهولة، فهتف:

- ولكن ماذا عن (جميل)؟.. لقد أخبرني بنفسه أن الفيلا آمنة، وهو شديد الدقة في مثل هذه الأمور، و...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- هذا لو أنَّه فعل.. الواقع أنَّنا قد أفقدنا مساعدك (جميل) وعيه، عندما جاء لزيارتنا، في المرة الثانية، وتم نقله مباشرة إلى زنزانة خاصة، في قبو مديرية الأمن، مع (درويش).

هتف (قاسم):

- مستحيل!.. لقد تحدثت إليه بنفسي هاتفيًّا.

هزَّ (نديم) كتفيه، وقال:

- هنا يأتي دور التكنولوجيا يا رجل، فعندما جاء (جميل) إلى مكتبي، في المرة الأولى سجلت زميلتي (غادة) كل حديثي معه، وبعدها أضافت التسجيل إلى الكمبيوتر، ولقنته المعلومات الخاصة بما تنتوي فعله، وعندما تحدَّثتَ أنت، وطلبتَ التحدث مع (جميل)، أوصلت (غادة) الهاتف بالكمبيوتر، الذي انتقى من عبارات (جميل) المسجلة ما يتوافق مع خطتنا، ونقله إليك، فتصوَّرتَ أنت أنَّك تتحدث إلى مساعدك، واطمأن قلبك بشأن الحضور إلى هنا، فوقعت في الفخ كالغر الساذج.

غمغم (قاسم) في مرارة:

- نعم.. كالغر الساذج.

وفجأة وثبت يده إلى سترته، وانتزعت مسدسه، وهو يقول في غضب:

- ولكن هذا لن يدوم طويلًا.

وأطلق النار..

-٩-

الختام

من المؤكد أن (قاسم) لم يحصل على لقب زعيم تجار المخدرات عبثًا، فلقد انتزع مسدسه في سرعة، وأطلق منه النار نحو (مجدي)، قبل أن يتخذ هذا الأخير ما يلزم، لصد الهجوم..

وأصابت رصاصة (قاسم) ذراع (مجدي)، الذي أطلق صرخة ألمٍ مكتومة، لم تلبث أن تحولت إلى سباب ساخط، عندما سقط مسدسه من يده..

وبحركة حادة سريعة، قفز (قاسم) إلى الخلف، وصوَّب مسدسه إلى (نديم) و(مجدي)، وهو يهتف:

- انتهت اللعبة يا سادة.. ولغير صالحكما.

لم يبدُ الخوف على وجه (نديم)، الذي ظل هادئًا، وهو يجلس على مقعده، قائلًا:

- أتتصور هذا حقًا؟

أجابه (قاسم) في شراسة:

- نعم.. أتصوره.. لقد خدعتماني للحصول على الشريط، ولكنني سأستعيده من بين أشلائكما، قبل أن أنصرف من هنا.

قال (نديم) في بساطة:

- أتظن أنَّنا وحدنا هنا؟

أطلق (قاسم) ضحكة ساخرة، وقال:

- نعم.. نعم أظن هذا، فمن الواضح أنكما قد فعلتما كل هذا وحدكما، دون أوراق قانونية، أو خطة مدروسة.

عضَّ (مجدي) شفتيه؛ ليكتم آلام جرحه، وهو يقول:

- خطأ أيُّها الوغد.. إنَّنا هنا بإذن خاص من النائب العام.. وكلُّ ما حدث هنا مسجل، بالصوت والصورة، تسجيلًا قانونيًّا سليمًا، سيلقي بك خلف القضبان إلى الأبد.

تلفَّت (قاسم) حوله في انزعاج، وهتف:

- أنت كاذب.

ثم جذب إبرة مسدسه في شراسة، وهو يصوبه إلى (مجدي)، صارخًا:

- أنتما وحدكما هنا.. أعلم أنكما كذلك.

انبعث من خلفه فجأة صوتٌ أنثويٌّ ساخرٌ، يقول:

- إذن فلست من أنصار المساواة، بين الرجل والمرأة يا صاح.

استدار (قاسم) إلى مصدر الصوت في حركة حادة، ولكن قدم (غادة) استقبلته وأطاحت بمسدسه، ثم تبعتها قبضتها، التي غاصت في معدته، وبطلتنا تقول ساخرة:

- ما رأيك يا زعيم أهل السم؟.. هل تؤلمك قبضتي؟

انثنى (قاسم) من قوة الضربة، وسقط أرضًا، وانزلق جسده فوق الأرض الناعمة لمترين كاملين، في حين اعتدلت (غادة)، وقالت:

- لم أسمع جوابك بعد.

ولكن (قاسم) كان قد سقط إلى جوار مسدسه، فأسرع يلتقطه هاتفًا في غضبٍ هادرٍ وثورةٍ عارمةٍ:

- ها هو ذا أيتها المغرورة.

وانطلقت رصاصة..

***

كل شيء حدث في سرعة مدهشة..

التقط (قاسم) مسدسه، وصوَّبه إلى (غادة)..

وضغطت يده الزناد..

ولكن هناك سطر مفقود، بين السطرين السابقين..

وحدثٌ مفقود..

فما بين تصويبه للمسدس، وضغطه للزناد، تحرَّك (نديم)..

كانت قفزته رشيقة، مرنة، انزلق فيها جسده بدوره على الأرض الناعمة، حتى بلغ مسدس (مجدي)، فالتقطه، وأطلق منه النار في سرعة مذهلة، نحو (قاسم)..

وأصابت الرصاصة (قاسم) في كتفه..

وانطلقت من أعماقه صرخةُ ألمٍ..

ومع صرخته، انطلقت الرصاصة، ولكنها أخطأت طريقها..

ولم تصب (غادة)..

وبحركة سريعة، قفزت (غادة) نحو (قاسم)، وركلته بحذائها في وجهه، وهي تقول:

- إنَّك وغد بحق.

وارتطم رأس (قاسم) بالحائط خلفه، وكانت الضربة قوية، حتى أن عينيه قد دارتا في محجريهما..

ثم سقط فاقدًا الوعي..

ونهض (نديم)، وهو يسرع نحو (مجدي)، قائلًا:

- أأنت بخير؟

مطَّ (مجدي) شفتيه، وقال:

- إنَّه لا يحسن التصويب.

ثم أضاف في حِدَّةٍ:

- أتعلم أنَّني أستطيع إلقاء القبض عليك، لإطلاقك النار من مسدسٍ، وأنت لا تحمل رخصة حمل سلاح؟

أطلقت (غادة) ضحكة عالية، وقالت:

- يا إلهي!! (مجدي) هو (مجدي).. لا يتغير أبدًا.

اعتدل (مجدي) جالسًا، وهو يمسك جرحه، قائلًا:

- لستُ أميل إلى التغيير.

ثم تطلَّع إلى (نديم)، وأضاف:

- ولكن خطتك كانت عبقرية بالفعل يا (نديم).

جلس (نديم) إلى جواره، وقال في بساطة:

- إنَّها خطة (العقرب).. لا خطتي أنا، وإن كان قد استعان بي لتنفيذها.

عقد (مجدي) حاجبيه في ضيقٍ، وقال:

- أما زلت تصرُّ على مواصلة هذه اللعبة؟

قال (نديم) في هدوء:

- أية لعبة تقصد يا عزيزي؟

هتف (مجدي) في حِدَّةٍ:

- اللعنة!

ثم لوَّح بسبابته في وجه (نديم)، مستطردًا:

- اسمع يا (نديم).. صحيح أنَّني قد قبلت العمل مع (العقرب) هذه المرة، ولكن هذا لا يعني أنَّني أوافق على أسلوبه، ولتعلم أنَّني..

قاطعته (غادة):

- ستوقع به يومًا متلبسًا.. أليس كذلك؟.. لقد سئمت سماع هذه العبارة يا عزيزي (مجدي).. ألا تميل إلى التغيير فيها أيضًا؟

عقد (مجدي) حاجبيه في غضبٍ، وأشاح بوجهه، قائلًا في سخطٍ:

- سيأتي ذلك اليوم حتمًا.. أعلم أنَّه سيأتي..

***

انصرف كل رجال الشرطة من فيلا (الهرم)، بعد أن أتموا استجواباتهم، وضمدوا جراح (مجدي)، فتنهدت (غادة)، وقالت وهي تلقي جسدها فوق مقعد وثير في شرفة الفيلا:

- يا إلهي!.. لقد انتهت هذه القضية بسرعة.

غمغم (نديم) في هدوء:

- هذا صحيح.

استنشقت الهواء في عمق، ثم التفتت إليه، تسأله بغتة:

- ولكن أخبرني.. كيف علِمتَ أنَّ (قاسم) هو من وراء كل هذا؟.. وكيف أدركت أنَّه يحتفظ بدليل يدين (درويش)؟

أجابها في استرخاء:

- معرفتي أنَّ (قاسم) وراء كل هذا كان مجرد رميةٌ من غير رامٍ، وفقني إليها المولى (عزَّ وجلَّ)، فلقد علمتُ من التحريات أنَّه زعيم تجار السموم، وقدَّرت أنَّه من الطبيعي أن يكون الزعيم نفسه وراء مثل هذا العمل.. أما بالنسبة لوجود الدليل، فخبرتي في التعامل مع هؤلاء المجرمين علمتني أن الكبار منهم يحبون أن يحتفظون بالخيوط في أيديهم دائمًا، ولما كان من المحتمل أن ينقلب عليهم (درويش)، ويفضح سرهم، فمن الطبيعي أن يحتفظوا بدليل يدينه، ويلزمه بالصمت.

ابتسمت وهي تقول:

- أنت داهية.

غمغم:

- شكرًا لكِ.

ران عليهما الصمت لحظة أخرى، ثم سألته:

- هذه الفيلا ملك لوالدك.. أليس كذلك؟

تمتم في تراخٍ:

- بلى.

قالت:

- هل وجودها هنا يرتبط بـ...

قاطعها في حزمٍ:

- اصمتي يا (غادة).

هتفت في دهشة:

- أصمت؟!

لوَّح بكفه أمامه، وقال:

- ألا تلاحظين المشهد الرائع؟!.. إنَّه يصنع من الجو مزيجًا مدهشًا.

هتفت في دهشة:

- أأنت الذي يلاحظ هذا، بعد كل ما حدث، و..

قاطعها:

- هل فقدت القدرة على الاستمتاع بالجمال؟!

صاحت مستنكرة:

- أنا؟!

ثم أشاحت بوجهها، وعقدت حاجبيها وساعديها، مستطردة في حنق:

- يا للرجال!

تطلَّع إليها من بين جفنيه المسبلين، وارتسمت على وجهه ابتسامة ارتياح، لم تلبث أن ذابت على شفتيه، وهو يتنهَّد في ارتياحٍ..

لقد نجح في تحطيم واحد من زعماء تلك المملكة، التي يحلم بالقضاء عليها تمامًا..

مملكة السموم البيضاء..

مملكة الشر..

***

تمَّت بحمد الله

العصابة

-١-

جنون

رفع اللواء (حلمي) يده بالتحية العسكرية، ردًّا على التحية العسكرية، التي أدَّاها له رجال شرطة الحراسة، عند بوابة مديرية أمن (القاهرة)، ثم اتجَّه بخطواته السريعة المعتادة نحو السلم، الذي يقود إلى الطابق الثالث، حيث مكتبه الخاص، إلا أنَّ خطواته لم تلبث أن أبطأت، عندما وقعت عيناه على شابٍّ نحيلٍ، يقف منكمشًا في ركنٍ قريبٍ، يتطلع إليه بنظرة عجيبة..

نظرة تجمع ما بين اللهفة، والخوف، والقلق، والتردد..

نظرة شعر معها اللواء (حلمي) بنداء استغاثة..

نداء موجه إليه بالتحديد..

وراوده شعور خفي أنَّ هذا الشاب هنا من أجله هو..

لم يدر لماذا راوده هذا الشعور بالذات؟..

أهي خبرة عشرات السنين، في العمل بالشرطة؟..

أم هي حاسة تنمو مع الأيام؟.

المهم أن خطواته انتقلت بغتة إلى خانة الوقوف، وهو يلتفت إلى الشاب، ويرسم على شفتيه ابتسامة أبوية حانية، وهو يقول في هدوء:

- هل كنت تنتظرني؟

اتسعت عينا الشاب، وتراجع في حركة حادة، وكأنَّما بوغت بتلك المبادرة غير المتوقعة، وارتبك وهو يقول:

- نعم.. هذا صحيح في الواقع.. إنَّني.. إنَّني..

قاطعه اللواء (حلمي) في هدوء:

- أليس من الأفضل أن نتحدث في مكتبي؟

تردَّد الشاب لحظات أخرى، وتلفَّت حوله في قلقٍ، ثم همسٍ:

- بلى.. هذا أفضل بالتأكيد.

أشار إليه اللواء (حلمي)، وقال:

- هيا بنا إذن.

لم يتبادلا كلمة واحدة، حتى استقرَّ بهما المقام في حجرة مكتب اللواء (حلمي)، الذي تراجع في مقعده، وسأل الشاب، الذي يجلس على المقعد المقابل للمكتب:

- والآن ماذا لديك؟

بدا التوتر الشديد على وجه الشاب، الذي ازدرد لعابه في توترٍ واضحٍ، وتصبَّب عرق غزير على وجهه، على الرغم من مكيف الهواء بالحجرة، في حين راح اللواء (حلمي) يراقبه في صمت، دون أن ينبس ببنت شفة، وكأنَّما يمنحه الفرصة الكافية للسيطرة على أعصابه، حتى هدأ الشاب قليلًا، ومال

نحو حافة المكتب، وهو يهمس:

- اسمي (فهمي)، وأنا مهندس جيولوجي، في واحدة من شركات البترول المصرية، و..

بتر عبارته بغتة، وراح يُجفِّف عرقه في توتر، قبل أن يندفع فجأة، قائلًا:

- هناك اختلاسات رهيبة بالشركة.. اختلاسات تقدر بملايين الجنيهات.

رفع اللواء (حلمي) حاجبيه في دهشة، وقال:

- اختلاسات؟!.. ولكنك هنا في المباحث الجنائية، وقسم مكافحة المخدرات يا بني، والاختلاسات من اختصاص مباحث الأموال العامة و..

قاطعه (فهمي) في مرارة:

- لن يمكنهم فعل شيء.

سأله (حلمي) في حيرة:

- لماذا؟..

عضَّ (فهمي) شفته السفلى، وهو يقول في غيظ:

- لأنَّهم لن يجدوا دليلًا واحدًا.

رفع اللواء (حلمي) حاجبيه في دهشة مرة أخرى، ثم عاد يعقدهما، وهو يقول في حزمٍ:

- مستحيل يا ولدي.. لا يمكن لمجرمٍ، مهما بلغت براعته، أن يختلس ملايين الجنيهات - كما تقول - دون أن يترك خلفه دليلًا واحدًا.

قال (فهمي) في توتر:

- هذا لو أنَّه مجرم واحد.

ثم عاد يميل نحو المكتب، مستطردًا في قلقٍ عجيبٍ:

- إنَّهم عصابة.. الجميع يكوِّنون عصابة واحدة.. كل الشركة عصابة واحدة.

تراجع اللواء (حلمي) بمقعده، وعاد يتطلع إلى الشاب بنظرة جديدة..

إنَّه إذن من ذلك النوع، المصاب بجنون الاضطهاد النفسي، بحيث يتصور أنَّ جميع من حوله قتلة ولصوص، وأنَّهم جميعًا يتربصون به..

كل شيء في هذا الشاب يثبت هذا..

نظراته الزائفة..

خوفه الشديد..

توتره الزائد..

إنَّه مصاب بعقدة الاضطهاد حتمًا..

ارتاح عقل اللواء (حلمي) لهذا التفسير، فشبك أصابع كفيه

أمام وجهه، وقال في هدوء:

- إذن فالشركة كلها لصوص.

أومأ الشاب برأسه إيجابًا، ثم استدرك بسرعة:

- ليس الجميع بالطبع، بل المديرون.. فقط مديرو الأقسام.. كلُّهم حتى رئيس مجلس الإدارة..

غمغم اللواء (حلمي) مشفقًا:

- حقًّا؟!

اندفع (فهمي) يقول في حماس، وكأنَّما تحرَّر أخيرًا من خوفه:

- نعم يا سيدي.. إنَّهم يبيعون البترول لحسابهم الخاص، الجميع يشتركون في هذا العمل القذر.. لقد كشفتُ أمرهم بمحض الصدفة، و..

عاوده خوفه، على هيئة رعبٍ مباغتٍ، وهو يستطرد

بصوتٍ مرتجفٍ:

- ويسعون للتخلص مني حتمًا.

غمغم اللواء (حلمي):

- ليس بهذه البساطة.

هتف (فهمي)، وهو يتشبث بحافة المكتب:

- إنَّهم يستطيعون قتلي بالتأكيد.. ألم أقل لك إنَّهم عصابة رهيبة.

مال اللواء (حلمي) نحوه، وقال في حنانٍ مشفقٍ:

- أفضل وسيلة إذن هي أن تهرب منهم.

هزَّ (فهمي) رأسه في أسًى، وقال:

- سيعثرون عليَّ بالتأكيد.

ابتسم اللواء (حلمي) متعاطفًا، وقال:

- لا تسبح في هذه الفكرة طويلًا، وإلا غرقت في أعماقها للأبد.

بدا (فهمي)، وكأنَّه سينفجر باكيًا، وهو يقول:

- لا يمكنني السباحة في أي شيء، فأنا أجهل السباحة تمامًا.

ثم رفع عينيه إلى اللواء (حلمي)، واستطرد مستنجدًا:

- ولكنني أحتاج إلى حماية.. حماية خاصة من رجال الشرطة.

كان مطلبًا مباغتًا، جعل اللواء (حلمي) يرتبك لحظة، وهو يردِّد:

- حماية؟!

ثم لم يلبث أن تمالَك نفسه، فاستطرد في سرعة:

- بالتأكيد.. ستحصل على حماية الشرطة.

وغمز بعينه، مُردفًا:

- وبشكل سري تمامًا.

تهلَّلت أسارير الشاب، وهو يقول:

- حقًّا؟!

تراجع اللواء (حلمي) في مقعده، هاتفًا في حماس مفتعل:

- بالتأكيد.

تنهَّد الشاب في ارتياحٍ، ونهض يصافح اللواء (حلمي)، قائلًا:

- أشكرك كثيرًا يا سيدي.. كنت أعلم أنَّك ستقف إلى جانبي.. لقد قرأت عنك الكثير..

ثم عاد يسأله في اهتمام:

- ومتى ستبدأ هذه الحراسة؟

بدأ الضجر يتسلَّل إلى نفس (حلمي)، وهو يقول:

- الآن.. سأصدر أوامرى ببدء حراستك، فور انصرافك من مكتبي.

تهلَّلت أسارير (فهمي) مرة أخرى، وشدَّ على يد اللواء (حلمي) في حرارة، قائلًا:

- أشكرك يا سيدي.. أشكرك على كل شيء، وأعدك أن أبذل قصارى جهدي؛ لجمع أدلة إدانة، تُوقِع بالجميع في أيدي العدالة.

صافحه اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- بالتأكيد.. سأنتظر ما تأتي به.

ولم يكد الشاب يغادر حجرة المكتب، حتى تنفَّس اللواء (حلمي) الصعداء، وهو يتصور أنَّ مشكلته قد انتهت..

ولكنه كان مخطئًا..

لقد بدأت..

***

-٢-

الجريمة

عبرت (غادة) باب مكتب (نديم فوزي) للمحاماة، في خطوات سريعة مندفعة كعادتها، وهتفت بعامل المكتب في مرح:

- صباح الخير يا عم (أحمد).. هل وصل (نديم)؟

ابتسم العامل الكهل ابتسامة حانية، تفيض بالأبوة، وهو يقول:

- في تمام الثامنة كالمعتاد يا بنيتي.

هتفت ضاحكة، وهي تدفع باب مكتب (نديم) الخاص:

- كان ينبغي أن أتوقع هذا، فعزيزنا (نديم) ينافس الساعات السويسرية في الدقة والانـ..

بترت عبارتها بغتة، عندما وقع بصرها على اللواء (حلمي)، الذي يجلس على المقعد المقابل لمكتب (نديم)، وهتفت:

- صباح الخير يا سيادة اللواء.. كم يسعدني أن أراك هنا.

بدا لها شديد الحزن، وهو يغمغم:

- أشكرك يا بنيتي.. أشكرك.

اقتربت منه في دهشة، ثم رفعت عينيها إلى (نديم)، الذي بدا هادئًا رصينًا كعادته، وسألته:

- ماذا هناك؟

أشار إليها (نديم) بالجلوس، وهو يقول:

- لقد وصلت، وأنا ألقي السؤال نفسه على سيادة اللواء (حلمي)، فلقد وصل قبل وصولك بلحظات.

جلست وهي تسأل اللواء (حلمي) في قلق:

- حسنًا يا سيدي.. ماذا هناك؟

وضع اللواء (حلمي) صحيفة مطوية أمام (نديم)، وأشار إلى جزء منها، قائلًا في لهجة تحمل كل مرارة الدنيا:

- اقرأ هذا الخبر.

بدا الفضول الشديد على وجه (غادة)، فقرأ (نديم) بصوت مسموع:

- غرق جيولوجي شاب في البحر الأحمر.. تفاصيل الخبر تقول: أغرت حرارة الطقس جيولوجيًّا شابًّا، وهو المهندس (فهمي صابر)، على السباحة بعض الوقت، في مياه البحر الأحمر، بعد غروب الشمس، ولكن التيارات البحرية جذبته إلى الأعماق، فلقي مصرعه غرقًا.

صمت (نديم) لحظة، بعد انتهائه من قراءة الخبر، وكأنَّما يحاول ربط الحادث باللواء (حلمي)، وبالحزن الذي يملأ ملامحه، ثم لم يلبث أن قال:

- حادثٌ مؤسفٌ.

رفع اللواء (حلمي) رأسه في حركة حادة، وقال:

- بل جريمة قتل بشعة.

شحذ القول حواس (نديم) و(غادة) في شدة، وهتفت (غادة):

- جريمة قتل؟.. ما الذي يدعوك إلى مثل هذا القول يا سيادة اللواء؟

أجابها اللواء (حلمي) في مرارة:

- الجريمة نفسها يا (غادة).. لقد خطَّط هؤلاء القتلة لارتكاب جريمتهم، ولكنهم لم ينتبهوا إلى نقطة بالغة الأهمية.

وأشار إلى الخبر بسبابته، مستطردًا في حِدَّةٍ:

- فهذا المهندس الشاب لا يعرف السباحة.

عقد (نديم) حاجبيه، على نحو يوحي باهتمامه الشديد بالأمر، في حين تابع اللواء (حلمي):

- هل رأيتما رجلًا يجهل السباحة، وتغريه حرارة الطقس بالنزول إلى البحر، بعد غروب الشمس؟..

تمتمت (غادة) في اهتمام:

- ولا حتى بعد شروقها.

أما (نديم)، فقد انحنى نحو اللواء (حلمي)، وسأله:

- ولكن كيف عرفت هذا يا سيدي؟

أومأ اللواء (حلمي) برأسه، وهو يقول في أسًى:

- سأخبرك يا ولدي.. سأخبرك بكل شيء.

انطلق يروي لهما كلَّ ما حدث منذ ثلاثة أيام، ومنذ أن رأى (فهمي) في بهو مديرية الأمن، حتى انصرف هذا الأخير من مكتبه، ثم أضاف في حزنٍ:

- لم أصدقه في البداية، تصورت أنَّه مصاب بعقدة اضطهاد

نفسية، والآن أرى نفسي مسئولًا عن مقتله، فلو كنتُ قد وفَّرتُ له الحماية اللازمة، لما..

قاطعه (نديم):

- لا تقل (لو) هذه يا سيدي، فهي تعمل عمل الشيطان، وحتى لو كنت قد أحطت (فهمي) هذا بسياج من الحراسة، للقي مصرعه بنفس الوسيلة، وفي نفس الموعد، لأن هذا قدره.

ثم نهض من خلف مكتبه، وبدا ما لو أنَّه يتحدَّث إلى نفسه، وهو يستطرد:

- ولكن مصرعه هذا قد يشير إلى صحة أقواله، أو إلى..

قاطعته (غادة) في سرعة:

- أو إلى أنَّه قد انتحر.

التفت إليها (نديم) واللواء (حلمي)، وهتف هذا الأخير في دهشة:

- انتحر؟!

قالت في هدوء:

- هذا احتمال وارد بالطبع، فالشخص المصاب بعقدة الاضطهاد قد تتضاعف مخاوفه، حتى يُخيَّل إليه أن الأعداء يتربصون به من كل جانب، مما يحطم أعصابه تدريجيًّا، إلى الحد الذي يدفعه إلى الانتحار، كمحاولة للفرار من هذا العذاب، الذي صنعه لنفسه.

صمتت لحظة، ورأت (نديم) واللواء (حلمي) يتطلعان إليها في شكٍّ، فأضافت في غضبٍ:

- لقد قرأت هذا في مقال عن الطب النفسي.

ران الصمت على المكان لحظة أخرى، ثم قال (نديم) في هدوء:

- هذا احتمال وارد بالطبع.

ولكن اللواء (حلمي) قال في صرامة:

- بل لقد قُتل الشاب.

ثم استطرد بكلمات سريعة:

- هذه الصحيفة، التي قرأتما فيها الخبر، هي صحيفة أمس الأول، ولقد قرأت أنا الخبر في حينه، فأسرعت أجمع بعض التحريات عن مديري هذه الشركة.

سأله (نديم) في اهتمامٍ بالغٍ:

- وما الذي أسفرت عنه هذه التحريات؟

لوَّح اللواء (حلمي) بكفه، قائلًا:

- أسفرت عن أطنان من الشكِّ، دون دليلٍ ماديٍّ واحدٍ، فلهذه الشركة أربعة مديرون (عماد)، مدير الإنتاج والمتابعة، و(رضوان)، مدير المخازن، والدكتور (جمال)، المدير العلمي والفني، ورئيس المعامل، والمهندس (أشرف)، المدير التنفيذي، وعلى رأس هؤلاء الأربعة رئيس مجلس الإدارة (كامل شكري).. ورواتب هؤلاء الخمسة تُعدُّ من الرواتب

الضخمة، بالنسبة لمتوسط راتب أي مدير شركة عادية، وعلى الرغم من هذا، فالخمسة يعيشون في رغدٍ زائدٍ، بل ويحيون حياة المليونيرات، مما يثير أكثر من علامة شك حولهم.

قال (نديم):

- من الممكن استجوابهم عن هذا، فما زال قانون (من أين لك هذا؟) ساريًا، والجهاز المركزي للمحاسبات يمكنه مراجعة حسابات الشركة و...

قاطعه اللواء (حلمي) في مرارة:

- لقد استجوبتهم الرقابة الإدارية بالفعل، وكان لدى كل منهم تفسير قانوني لثرائه، فمنهم من تزوَّج من سيدة ثرية، ومَن يعمل مستشارًا لدى شركات خاصة، والثالث له مكتب هندسي ضخم، والرابع يمتلك مستشفى خاصًا، في قلب (القاهرة)، على الرغم من أنَّه ليس طبيبًا بشريًا، والخامس ورث عن ابن عمه ثروة طائلة، تركها ابن العم الراحل في بنك أمريكي.

عقد (نديم) حاجبيه، وقال:

- وهل يعقل أن تجتمع كل هذه المصادفات، في شركة واحدة؟

قلب اللواء (حلمي) كفيه، وقال:

- المهم هو الدليل يا ولدي، وبدونه لا يملك رجال الرقابة الإدارية سوى إغلاق ملف الاتهام، وتبرئة المتهمين، خاصة وأنَّ الجهاز المركزي للمحاسبات لم يجد أدنى خطأ، عند مراجعته حسابات وملفات الشركة، بكل دقة.

لم يحر (نديم) جوابًا، وإنما اكتسى وجهه بعلامات التفكير العميق، في حين تطلعت إليه (غادة) في تساؤل صامت، قبل أن تلتفت إلى اللواء (حلمي)، قائلة:

- ما الذي يمكن فعله إذن يا سيدي؟

تنهَّد اللواء (حلمي)، وقال:

- لا شيء يا بنيتي.. لا شيء.

ثم استدرك بسرعة:

- من الناحية القانونية.

ظلَّ وجه (نديم) جامدًا هادئًا، لا يشف عمَّا يُعتَمل في أعماقه، في حين نقلت (غادة) بصرها، من وجهه إلى وجه اللواء (حلمي)، قبل أن تسأل هذا الأخير في حذرٍ:

- وهل هناك وسائل أخرى؟

أجابها اللواء (حلمي) دون تردُّدٍ:

- حتمًا.

ثم تراجع في مقعده، وتحاشى النظر إلى وجه (نديم)، وهو يقول:

- أتعلمين أي اسم يقفز إلى ذهني، في مثل هذه الظروف؟

سألته وهي تعرف الجواب تقريبًا:

- أي اسم؟

صمت لحظة، اختلس خلالها نظرة، إلى وجه (نديم) الجامد، ثم أجاب:

- (العقرب).

ابتسمت (غادة)، وهي ترمق (نديم) بنظرة جانبية، قائلة:

- حقًّا؟!

اندفع اللواء (حلمي) يقول:

- ومَن غيره؟.. إنَّه الشخص المناسب تمامًا، في مثل هذا الموقف، فهو - كرجال الشرطة - يسعى لتحقيق العدالة، ولكنه - على عكسهم - غير مُقيَّد باللوائح والقوانين، وضرورة اتباع وسائل أمنية خاصة.

قال (نديم) في هدوء:

- ولكن حتى (العقرب) على ما أعتقد يحتاج إلى دليل إدانة، ولو لم يكن دليلًا ماديًا، فهو يكره مهاجمة الأبرياء لمجرد الشكِّ.

هزَّ اللواء (حلمي) كتفيه، وقال:

- لو أنَّه يسعى لتحقيق العدالة، فمن واجبه أن يسعى للحصول على الدليل.

ثم نهض، مستطردًا:

- والواقع أنَّني لم أتمن رؤيته، في حياتي كلها، مثلما أتمنى الآن.

سألته (غادة):

- لماذا يا سيدي؟

أجابها في صوت يحمل نبرة خاصة:

- لأطلب منه أن يفعل هذا.

ثم اختلج صوته، وهو يضيف:

- من أجلي.

أجابه (نديم) في حزمٍ:

- وهو لن يتردد يا سيدي.

ثم أضاف في صوت قوي حاسمٍ:

- من أجلكَ.

لحظتها أدرك اللواء (حلمي) أن (العقرب) قد قبل المهمة..

من أجله..

ومن أجل العدالة..

***

-٣-

الدليل

تطلَّع (كامل شكري)، رئيس مجلس إدارة شركة البترول، إلى البطاقة، التي حملها إليه مدير مكتبه، وردَّد في حيرة:

- (أحمد عبد الغفار)، صحفي بجريدة (أخبار اليوم)؟!.. وماذا يريد مني هذا الصحفي؟

أجابه مدير مكتبه في بساطة:

- ربما يرغب في إجراء تحقيق صحفي، حول نشاطات الشركة، ومنجزاتها في التنقيب عن البترول، وزيادة الثروة القومية و...

قاطعه (كامل) في ضجر:

- حسنًا.. حسنًا.. دعه يدخل.

ابتسم مدير المكتب، وهو يقول:

- بالتأكيد يا سيدي، فنحن نرحب دائمًا برجاء الصحافة والإعلام.

أسرع يغادر المكتب، في حين عدل (كامل) رباط عنقه، وابتسم قائلًا:

- لا بأس من بعض الدعاية.

رأى شابًا وسيمًا يدلف إلى مكتبه، وهو يعدِّل من وضع منظاره الطبي فوق عينيه، فنهض يستقبله بابتسامة دبلوماسية، وهو يقول:

- أهلًا بك في شركتنا يا أستاذ (أحمد)..

صافحه (نديم)، الذي ينتحل شخصية الصحفي، وهو يقول في هدوء:

- شكرًا يا سيد (كامل).

أشار إليه (كامل) بالجلوس، وهو يقول:

- إنَّني أرحب دائمًا برجال الصحافة، فشركتنا صاحبة إنجازات عظيمة، وواحدة من الـ...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- معذرة يا سيدي، ولكنني لست هنا لغرض صحفي.. هذه المرة على الأقل.

قفز الشكُّ إلى نفس (كامل)، فجلس على مقعده في بطء، وسأل (نديم) في حذرٍ:

- لست هنا لغرض صحفي؟!.. لماذا أنت هنا إذن؟

عدَّل (نديم) من وضع المنظار الزائف فوق أنفه مرة أخرى، وقال:

- الواقع أنَّه هناك صديق لي..

قاطعه (كامل):

- وتريد تعيينه هنا؟

هزَّ (نديم) رأسه نفيًا، وقال:

- لا.. لا يمكنني طلب هذا.. ولا يمكنكم في الوقت نفسه تعيينه في أي مكان؛ لأنه بكل بساطة..

حمل صوته صرامة مباغتة، وهو يستطرد:

- مات.

عقد (كامل) حاجبيه، وتراجع في دهشة، مغمغمًا:

- مات؟!

قال (نديم) في حزمٍ:

- لو أردنا استخدام التعبير، المناسب تمامًا لما حدث، فهو لم يمت، وإنَّما قتل؟

ارتفع حاجبا (كامل)، وهو يهتف:

- قُتل!

ثم سأل (كامل) في حِدَّةٍ:

- ما الذي تريده بالضبط أيُّها الصحفي؟

مال (نديم) نحوه، وقال:

- أظنك تعرف صديقي هذا جيدًا يا سيدي، فلقد كان يعمل هنا، في شركتك.. واسمه هو (فهمي).. المهندس (فهمي صابر).

سرت ارتجافة واضحة في جسد (كامل)، وهو يقول:

- (فهمي صابر)؟!

ثم اندفع يستطرد:

- ولكن المهندس (فهمي) لم يقتل - كما تدعي - لقد مات غرقًا و..

قاطعه (نديم):

- الواقع أن (فهمي) قد أخبرني عن أشياء عجيبة، قبل مصرعه.

اتسعت عينا (كامل) في ذعرٍ، لم يستغرق أكثر من ثوانٍ معدودة، عادت بعدها ملامحه تكتسي بالصرامة، وهو يقول:

- ما الذي أخبرك به؟

هزَّ (نديم) كتفيه وقال:

- أخبرني عن أسلوب جهنمي، لسرقة البترول، وعن تورُّط عددٍ من كبار قيادات الشركة في هذا و...

قاطعه صيحة هادرة من (كامل):

- كاذب.

ثم هبَّ رئيس مجلس الإدارة من مقعده، مستطردًا في ثورة:

- لستُ أسمح لك بترديد مثل هذه الأكاذيب هنا.

نهض (نديم) في هدوء، وقال:

- لا بأس.. فلتقرأها على صفحات الجرائد، إذن.

وغادر المكتب في سرعة، تاركًا (كامل) خلفه، وقد احتقن وجهه في شدة، قبل أن يلقي جسده على مقعده، مغمغمًا:

- اللعنة!

ثم اختطف سماعة هاتفه، وأدار رقمًا داخليًّا في توتر، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى قال في عصبية:

- احضر إلى مكتبي على الفور يا (عماد)، واصطحب معك (رضوان)، والدكتور (جمال)، و(أشرف).. هناك أمر بالغ الخطورة، لا بدَّ أن نناقشه معًا.

ثم أنهى الاتصال، وحلَّ رباط عنقه قليلًا، وهو يقول:

- كنتُ أعلم أن الأمر لن ينتهي بهذه البساطة.. كنت أعلم هذا.

غادر (نديم) مبنى الشركة في هدوء، وفتح باب سيارة (غادة) الأيمن، وجلس في المقعد المجاور لمقعد القيادة، الذي تحتله (غادة)، التي أدارت محرك السيارة فور دخوله، وسألته:

- ماذا فعل رئيس مجلس الإدارة، عندما واجهته بالأمر؟

أجابها في هدوء، وهي تنطلق بالسيارة:

- ثار وهاج وماج، وكاد يطردني من مكتبه.

ثم أضاف، وهو يسترخي في مقعده:

- ولكن ملامحه شفت عن الكثير مما يدينه.

مطّت شفتيها، وقالت:

- وهل ترى هذا دليلًا؟

هزَّ رأسه نفيًا، وقال:

- كلا بالطبع، ولكن لا تنسي أن بطاقة الصحفي ما زالت هناك، على مكتب (كامل)، وعليها عنوان تلك الشقة، التي استأجرتها باسم (أحمد عبد الغفار).

سألته في اهتمام:

- وهل سيمنحك هذا الدليل الكافي؟

أجابها في بساطة:

- بالتأكيد سيمنحني الدليل على هيئة محاولة.

وارتسمت في عينيه ابتسامة كبيرة، وهو يستطرد:

- محاولة قتل.

***

«يعرف كل شيء؟!»

نطق المهندس (أشرف) هذه العبارة في هلع، قبل أن يعجز عن الوقوف، ويسقط فوق أقرب مقعد إليه، واتسعت عينا الدكتور (جمال) في ذهولٍ، وهو يحدِّق في وجه (كامل)، وكأنَّما لا يصدق ما قاله هذا الأخير، وعقد (عماد) حاجبيه في شدة، في حين قال (رضوان) في عصبية:

- ماذا تعني بأنَّه يعرف كل شيء؟

أجابه (كامل) في توتر:

- لقد أخبرني أنَّه صديق لذلك المهندس الغبي، الذي كشف الأمر كله، واضطررنا للتخلص منه، وقال: إن المهندس قد أخبره بكل شيء قبل أن يلقى مصرعه.

شحب وجه الدكتور (جمال)، وهو يقول في رعب:

- مستحيل!!

أما (رضوان)، فقال في حِدَّةٍ:

- مهلًا.. لا تجعلوا هذا يحطم أعصابكم.. لا أحد يمكنه كشف ما نفعله، فأنتم تعلمون جميعًا كم يسير كل شيء بمنتهى الدقة، حتى أنَّ الرقابة الإدارية، والجهاز المركزي للمحاسبات قد عجزا عن كشف الأمر.

ثم التفت إلى (كامل)، يسأله:

- هل تعرف عنوان ذلك الصحفي؟

ناوله (كامل) البطاقة، التي حملها إليه مدير مكتبه، وهو يقول:

- لقد ترك بطاقته هنا.

التقطها (رضوان)، وهو يقول في اهتمام:

- عظيم.

سأله الدكتور (جمال) في عصبية:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

أجابه رضوان في صرامة:

- ماذا تقترح؟.. إنَّنا لا نملك الاختيار يا رجل، فما دام هذا الصحفي صديقًا للمهندس (فهمي)، فليلحق به في العالم الآخر.

هتف (أشرف):

- كنتُ أعلم هذا.. كنتُ أعلم أنَّ الأمر لن ينتهي بالتخلص من هذا المهندس، وأنَّنا سنتحول إلى قتلة و...

قاطعه (كامل) في صرامة:

- اصمت.

ابتلع (أشرف) كلماته في خوف، في حين التفت (كامل) إلى (رضوان)، وقال في حزمٍ:

- أريد منكَ أن تنهي هذه العملية في سرعة، كما فعلت في العملية السابقة.

ارتسمت ابتسامة عجيبة على شفتي (رضوان)، وهو يلتقط سماعة الهاتف، قائلًا:

- اطمئن يا سيدي.. ستكون عملية نظيفة.. وسريعة.

وعندما أدار قرص الهاتف، كان هذا يعني أن المقصلة قد أفلتت من عقالها، وستهوي على عنق ضحيتها..

على عنق (نديم)..

***

-٤-

الشبح

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف صباحًا ببضع ثوان، عندما توقفت سيارة صغيرة أمام منزل من أربعة طوابق، واعتدل قائدها أمام عجلة القيادة، والتفت إلى جاره، الذي بدا ضخمًا أكثر مما ينبغي، حتى ليدهشك كيف حشر جسده، في عربة لها مثل هذا الحجم، وقال في لهجة آمرة:

- ها هو ذا المنزل.. هيا.. أنهِ مهمتك بسرعة، وسأنتظرك.

بدا صوت الضخم أشبه بزمجرة ذئبٍ شرسٍ، وهو يقول:

- اطمئن، سأعود في لحظات.. أبق المحرك دائرًا، حتى لا نضيع وقتًا في الانصراف.

ثم دفع باب السيارة، وأمسك قائمها في قوة، وهو يدفع جسده خارجها، واعتدل إلى جوارها يربت على موضع جيب

سترته، وكأنَّما يطمئن على وجود مسدسه، فقال قائد السيارة في حزمٍ:

- لا تستخدمه.. نريدها أشبه بحادث عرضي، كما فعلنا في المرة السابقة.

زمجر الضخم، قائلًا:

- اطمئن.

واتجه في خطوات واسعة نحو المنزل، وصعد درجات سلمه في خفة، تتناقض وحجمه الضخم، حتى بلغ الطابق الرابع، فأخرج من جيبه بطاقة (نديم) الزائفة، وقرأ رقم الشقة المدون بها، ثم راجعه مع الرقم المعدني، المثبت أعلى باب الشقة، وغمغم:

- إنَّها هي.

وبسرعة، أخرج من جيبه أداة رفيعة، دسَّها في ثقب المفتاح، وأدارها في مهارة، حتى سمع صوت لسان الباب ينزلق إلى الداخل، فابتسم في زهوٍ، مغمغمًا:

- كالمعتاد.

ودفع باب الشقة في هدوء، ثم دلف إليها، وأغلق الباب خلفه، دون أن يصدر عنه إلا صوت ضعيف، يصعب أن يسمعه سواه، ثم اتجه على أطراف أصابعه إلى حجرة النوم، وفتح بابها في خفوت، وألقى نظرة على الجسد، الذي يخفيه غطاء الفراش، وأخرج من جيبه بخاخة تحوي مادة مخدرة، وهو يهمس لنفسه:

- عبقري أنت يا (بكري).. دفعة واحدة من هذا السائل العجيب، ويذهب الصحفي في غيبوبة عميقة، أفتح بعدها صمام الغاز، وأترك له مهمة إكمال الباقي، بحيث لا يدرك الصحفي أنَّه قد لقي مصرعه، إلا وهم يوقظونه في الجحيم.

كاد يطلق ضحكة مجلجلة، إعجابًا بدعابته، ولكنه حبس هذه الضحكة في أعماقه، وتحرَّك على أطراف أصابعه نحو الفراش، وأزاح الغطاء عن الجسد النائم في حركة حادة، وهو يقول:

- نم أيُّها الصحفي.

ولكنه تراجع في دهشة، عندما فوجئ بأن ذلك الراقد أسفل الغطاء، ليس سوى وسادة كبيرة، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها صوت عميق، من ركن الحجرة المظلم، يقول:

- مفاجأة.. أليس كذلك؟

تحولت دهشته إلى انتفاضة عنيفة، شملته من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه، وهو يلتفت في حركة حادة إلى مصدر الصوت..

ولوهلة، خُيِّل إليه أنَّ الركن خالٍ، ليس به مخلوق واحد، وقفز عقله في فزعٍ إلى حكايات الجن والعفاريت، ثم ارتعد جسده كله، وبدا له أنَّ مخاوفه ستتحول إلى حقيقة، عندما انفصل ظلٌّ أسود عن الركن المظلم، وخطا خطوتين إلى الأمام، وهو يقول:

- ماذا أصابك؟.. هل ابتلع القط لسانك؟

عندئذ فقط، بينت عينا (بكري) الضخم ما أمامه..

كان ذلك الماثل أمامه عبارة عن شبح مخيف..

شبح يتشح بالسواد، ويخفي نصف وجهه بقناع أسود.. وفجأة نفض عقل (بكري) كل ما ملأه من مخاوف وخيالات، واستعادت غريزته القتالية سيطرتها على تفكيره، فزمجر هاتفًا:

- إنَّها خدعة إذن.

وانقضَّ في وحشية على ذلك الشبح الأسود..

وبخفة تثير الإعجاب، تفادى (العقرب) انقضاضة (بكري)، وهو يقول:

- مهلًا أيُّها الخرتيت.

وبسرعة دار (العقرب) حول الضخم، ورفع قدمه يضربه في عاموده الفقري، مستطردًا:

- ليس بالقوة يتحقق النصر.

ارتطم (بكري) بالحائط في عنفٍ، وارتدَّ عنه ككرة من المطاط، و(العقرب) يتابع:

- بل بالعقل.

تفجرت الدماء من أنف (بكري)، الذي تحطَّم عند ارتطامه بالحائط، فهتف في سخطٍ:

- فليكن، ولكنني سأستخدم عضلاتي.

قالها وانقضَّ مرة أخرى على (العقرب)، وكال له لكمة كالقنبلة، تكفي لهدم جدار كامل، ولكن هذا الأخير تراجع برأسه ونصفه العلوي إلى الخلف في مرونة، وهو يقول:

- ليس المهم أن تمتلك العضلات أيُّها الخرتيت.

ثم اعتدل، ومال جانبًا، وهوى بقبضته على فكٍّ (بكري)، مستطردًا:

- المهم أن تُحسن استخدامها.

ترنَّح (بكري)، وهو يطلق صرخة ألمٍ، ولكن (العقرب) هوى على معدته بلكمة أخرى، أعقبها بثالثة في أنفه، حتى سقط

الضخم على ركبتيه، وهو يهتف في ألمٍ ممتزجٍ بالسخط:

- اللعنة!

أمسكه (العقرب) من شعره، ودفعه إلى النهوض، وهو يقول بلهجة آمرة قوية:

- من أرسلك أيُّها الفيل الغبي؟

أمسك به (بكري) فجأة، وحمله فوق ظهره، وألقاه أرضًا في عنفٍ، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- لا تنتظر مني جوابًا أيُّها المقنع.

ثم انتزع مسدسه، وصوَّبه إليه، مستطردًا:

- فيما عدا هذا.

تحرَّكت قدم (العقرب) في سرعة، وركلت المسدس من يد (بكري)، ثم قفز هو واقفًا على قدميه، وقال في صرامة:

- فيما عدا ماذا؟

لم يكد ينتهي قوله، حتى تحركت قبضته كقنبلة، وهوت على فكٍّ (بكري)، ثم وثبت الأخرى، تحطّم ما بقي من أنف هذا الأخير، واندفعت قدمه تركل ركبة الضخم، ثم انثنت ركبته وغاصت في معدته، وعندما انثنى (بكري)، وهو يمسك معدته المصابة، ويطلق شهقة ألم، ضمَّ (العقرب) قبضتيه، وهوى بهما على مؤخرة عنقه، فأطلق خوار ألم، وسقط على وجهه عند قدمي بطلنا..

وبسرعة، أحاط (العقرب) عنق (بكري) بذراعه، وشدَّد الضغط عليه، وهو يكرِّر سؤاله في صرامة:

- مَن أرسلك؟

اختنق (بكري)، وهو يقول في ألمٍ:

- لا يمكنني القول.. سيقتلونني لو فعلت.

تجاهل (العقرب) هذا الاعتراض، وقال:

- أهو (كامل)، أم (رضوان)؟.. أم (عماد)، أم (جمال)، أم (أشرف)؟

بدأ (بكري) يجاهد؛ لالتقاط أنفاسه، وهو يقول في ضراعة:

- إنَّه (رضوان).. اتركني أرجوك.. لقد أخبرتك الحقيقة.. أُقسِم لك أنَّها كذلك.

ترك (العقرب) عنقه، وهو يقول:

- وأنا أصدِّقك.

راح (بكري) يسعل في ألم، في حين ألقى (العقرب) بطاقته إلى جواره، وهو يستطرد:

- أخبر من أرسلوك أنَّني قد حصلت على ما كنت أنشده منهم، وأنَّني خلفهم حتى النهاية.

أمسك (بكري) عنقه، وهو يقول في توتر:

- لا تخبرهم أنَّني قد كشفت لك عن..

اتسعت عيناه في ذهول، عندما التفت إلى حيث كان (العقرب)، فوجد الحجرة خالية، إلا منه، ونافذتها الوحيدة مفتوحة على مصراعيها، مما جعله يغمغم في خوف:

- أين ذهب؟

مضت لحظة، شمله خلالها الصمت والذهول، ثم أدار عينيه في حيرة إلى البطاقة البيضاء، التي تحمل رسمًا لعقرب ذهبي، وهو يغمغم مستطردًا:

- ومَن هو؟

دلف رفيقه إلى الحجرة بغتة، وهو يقول:

- لماذا تأخرت إنَّني أنتظرك منذ فترة طويلة.

انتفض جسده في ذعر، وهتف:

- لقد اخفتنى.

عقد رفيقه حاجبيه، وقال:

- أخفتك؟!.. ماذا أصابك يا رجل؟.. وأين هذا الصحفي؟

قال (بكري) في توتر:

- لا يوجد أي صحفي هنا.. إنَّها خدعة.

رفع رفيقه حاجبيه، هاتفًا في دهشة:

- خدعة؟!

أجابه (بكري)، وهو يناوله بطاقة (العقرب):

- كان هنا شبح مقنع ينتظرني، ولقد هاجمني، وأجبرني على...

بتر عبارته بغتة، عندما انتبه إلى ما سيوقع نفسه فيه، ولكن رفيقه سأله في صرامة:

- أجبرك على ماذا؟

شحب وجه الضخم، ولوح بذراعيه في رعب، وهو يقول:

- لا.. لا شيء.. لم أقل كلمة واحدة.

ملأ الغضب ملامح رفيقه، وهو يخرج مسدسه، هاتفًا:

- هل بُحث له باسم السيد؟

كان من الممكن أن ينكر (بكري)، إلا أنَّ أعصابه التي عانت الكثير، لم تكن قادرة على الاحتمال، فانهار قائلًا:

- كنت مضطرًا.. لقد أجبرني.

هتف رفيقه في غضبٍ هائلٍ:

- أيُّها الجبان.

وقبل أن يدرك (بكري) ما ينوي رفيقه عمله، كان هذا الأخير قد ألصق فوهة مسدسه بجبهته.. وأطلق النار.

***

-٥-

جريمة

«قتلته؟!..»

هتف (رضوان) بهذه العبارة في هلع، قبل أن يمسك الرجل من ياقته في عنفٍ، مستطردًا:

- لماذا؟.. لماذا قتلته؟

أجابه الرجل في صرامة:

- لأنَّني أبغض الجبناء، الذي يدلون بكل ما لديهم، بعد لكمة أو لكمتين.

وابتسم في خبثٍ، واستطرد:

- ثم إن قتله يحقق الغرض المنشود.

سأله (رضوان) في توتر:

- أيٌّ غرض؟

أجابه في حزمٍ:

- إرباك رجال الشرطة، لو أنَّ الأمر كله مجرد خدعة، أو توريط الصحفي في جريمة قتل، لو أن الأمر ليس كذلك.. اسمعني جيدًا يا سيدي.. لقد تركت المسدس جوار الجثة، ومعه تلك البطاقة العجيبة، التي تحمل رقم العقرب الذهبي، ولما كان رجال الشرطة يجهلون علاقتي بـ(بكري)، فسيحيرهم وجوده قتيلًا، أما لو كان الصحفي هو صاحب الخدعة كلها، فسيصبح المتهم الأول، بارتكاب الجريمة.. أليس كذلك؟

عقد (رضوان) حاجبيه، وهو يفكر في الأمر، قبل أن يقول معترضًا:

- ولكنه أخبر مهاجمه أنَّني وراء كل هذا.

ابتسم الرجل في سخرية، وهو يقول:

- المهم هو الدليل.

ثم اتسعت ابتسامته، وهو يستطرد في ثقة:

- لا أحد يمكنه أن يمسَّ شعرة واحدة من رأسك، دون دليل مادي قوي.

ولكن الرجل كان مخطئًا..

لقد نسي أنَّه لا يواجه القانون المكتوب، وإنَّما يواجه سيف العدالة البتار..

يواجه (العقرب)..

***

التقى حاجبا العقيد (مجدي) في تفكيرٍ عميقٍ، وهو يتطلع إلى جثة (بكري)، التي التف حولها رجال المعمل الجنائي، يلتقطون لها بعض الصور الضوئية، ويجمعون من حولها الأدلة، ويرفعون البصمات، في حين راح بواب البناية يقول في انفعالٍ زائدٍ:

- كان باب الشقة مفتوحًا، مما أثار شكّي وقلقي، وعندما قرعت الجرس، لم يستجب لي أحد، فدخلت إلى الشقة، ووجدت هذا الرجل صريعًا، في حجرة النوم.

التفت إليه (مجدي)، وسأله:

- من يستأجر هذه الشقة؟

أجابه البواب:

- إنَّها شقة مؤثثة، استأجرها أمس صحفي، يُدعى (أحمد عبد الغفار)، ولكنه لم يدخلها حتى الآن.. لقد دفع إيجار شهر كامل، ووقَّع العقد، وحصل على المفتاح، ثم انصرف، ولم أره بعدها.

سأله (مجدي):

- وكيف يبدو (أحمد عبد الغفار) هذا؟

هزَّ البواب كتفيه، وقال:

- شاب عادي، نحيل بعض الشيء، ويرتدي منظارًا طبيًّا، و..

بدا الوصف أكثر من عادي، مما جعل (مجدي) يقاطعه، قائلًا:

- هل يمكنك أن تعرفه، إذا رأيته مرة أخرى؟

هتف البواب:

- بالتأكيد.

قال (مجدي):

- حسنًا.. اذهب الآن، وسأستدعيك إذا ما احتجت إليكَ.

أسرع البواب ينصرف، وهو يحمد الله (سبحانه وتعالى)، على ابتعاده عن جثة القتيل، في حين التفت (مجدي) إلى رجال المعمل الجنائي، وسألهم:

- هل عثرتم على شيء؟

نهض أحدهم، وقدَّم له بطاقة أنيقة، وهو يقول:

- هذه فقط.. وأظنني رأيت مثلها قبل..

لم يكد (مجدي) يلتقط البطاقة، حتى اتسعت عيناه في شدة، ووجد نفسه يهتف في قوة:

- (العقرب)؟!

التفت إليه رجال المعمل الجنائي في دهشة، ولكنه بدا كما لو أنَّه يتحدَّث إلى نفسه، وهو يستطرد في انفعالٍ:

- هو إذن وراء كل هذا!.. يا إلهي!.. لقد وقع هذه المرة.

ثم اندفع فجأة مغادرًا المكان، وتاركًا خلفه علامة استفهام ضخمة، على وجوه رجال المعمل الجنائي، الذين خيَّم عليهم صمتٌ تامٌّ، وهم يحدِّقون في باب الحجرة المفتوح في دهشة، ثم لم يلبث رئيسهم أن هزَّ رأسه، وقال:

- يا لرجال الشرطة!

وعاد الجميع يتابعون عملهم في اهتمام..

***

نفث (كامل) دخان سيجارته في عصبية، وهو يقول:

- شبح أسود مقنَّع، يترك خلفه بطاقة، عليها رسم عقرب ذهبي؟!.. ما هذا بالضبط يا (رضوان)؟.. فيلم سينمائي قديم، أم أسخف كذبة سمعتها في حياتي؟

قال (رضوان) في حِدَّةٍ:

- لا هذا ولا ذاك يا (كامل) بك.. إنَّها الحقيقة بكل بساطة، فلقد ظهر ذلك المقنع في منزل الصحفي، وهاجم (بكري)، ومن الواضح أنَّه يسعى خلفنا، وأنَّه يُعدُّ لنا شيئًا ما.

صاح (كامل) في غضب:

- أية سخافة هذه يا رجل؟.. لماذا تبتكر قصة تافهة خيالية كهذه لتبرز فشلك في التخلص من الصحفي؟

عقد (كامل) حاجبيه في شدة، وقال:

- لعبة؟!

ثم اختطف سماعة الهاتف بحركة مباغتة، وأدار قرص الهاتف في سرعة، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى تغيرت ملامحه بغتة، وارتسمت على شفتيه ابتسامة دبلوماسية، وهو يقول:

- صباح الخير يا (إبراهيم) بك.. أنا (كامل).. (كامل شكري): نعم.. رئيس مجلس إدارة شركة البترول.. كيف حالك يا (إبراهيم) بك؟ وكيف حال الجريدة؟.. عظيم.

ثم مال إلى الأمام، وأمسك سماعة الهاتف بكفيه في اهتمام بالغ، وهو يستطرد:

- أخبرني يا (إبراهيم) بك.. ألديكم صحفي يُدعى (أحمد عبد الغفار)؟.. لا.. ليس (محمد عبد الغفار).. بل (أحمد)، عجبًا!.. لا يوجد من يحمل هذا الاسم!!

قال الجزء الأخير، وهو ينظر إلى الأربعة الآخرين، فشحب

وجه (أشرف)، وامتقع وجه (جمال)، وعضَّ (عماد) شفته السفلى في توترٍ، في حين عقد (رضوان) حاجبيه في شدة، و(كامل) يستطرد:

- لا.. ليس للأمر أهمية خاصة.. كل ما هناك أن شابًا يحمل هذا الاسم، قد تقدم للزواج من ابنة صديق لي، وادَّعى أنَّه صحفي في جريدتك.. لا.. لا داعي لإبلاغ الشرطة.. سأنهي الأمر بأسلوبي الخاص.. شكرًا يا (إبراهيم) بك.. شكرًا كثيرًا.

وأعاد سماعة الهاتف، وهو يقول في حزمٍ:

- لم تكن خدعة من الصحفي يا (جمال)، بل الصحفي نفسه هو الخدعة.

وعاد يلتقط سماعة الهاتف، مستطردًا:

- في هذه الحالة يحتاج الأمر إلى تحريات من نوع آخر.

أدار قرص الهاتف مرة أخرى، وقال عندما تم الاتصال:

- صباح الخير يا (وجيه).. أنا (كامل شكري).. اسمعني

جيدًا.. أريد منك أن تجمع كل التحريات الممكنة، من عالمك السفلي عن مقنَّع أسود، يترك خلفه بطاقة تحمل رسمًا لـ..

اتسعت عيناه فجأة، وهو يهتف:

- تعرفه؟!.. اسمه ماذا؟.. (العقرب)؟!.. وما الذي يفعله (العقرب) هذا؟.. أهو زعيم عصابة كبيرة أم؟..

هبطت قلوب الأربعة الآخرين بين أقدامهم، مع ذلك المزيج من الدهشة والخوف، الذي ارتسم على وجه (كامل)، وهو يستمع محدثه، ومع انقباضة أصابعه الشديدة على سماعة الهاتف، قبل أن يرتجف صوته، وهو يقول:

- هذا يكفي يا (وجيه).. هذا يكفي.

وأعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، ثم اختطف علبة سجائره، والتقط منها سيجارة، أشعلها بأصابع مرتعدة، دون أن ينتبه إلى أن سيجارته الأولى ما تزال مشتعلة في المنفضة، في حين خيَّم على حجرته صمت رهيب، اشترك مع الوجوه الشاحبة، ليصنع لوحة للتوتر، قبل أن يقول (عماد) في حِدَّةٍ:

- ماذا أخبرك؟

تطلَّع إليه (كامل) في شرودٍ، وهو ينفث دخان سيجارته، ثم قال:

- يقول إنَّ (العقرب) هذا مكافح للجريمة، لا يعرف أحدٌ مَن هو، ولا مِن أين يأتي، ولا حتى كيف يختار خصومه، فهو يبدو كما لو أنَّه يتشمم أخبار الجرائم، وينتقي منها ما لا يروق له، وهو يرتدي زيًّا أسود اللون، وقفازين وقناعًا في لون الليل الملبد بالغيوم، ولقد تصدَّى لعمالقة، وحطمهم جميعًا من قبل، على الرغم من قوتهم، ومكانتهم الاجتماعية الكبيرة.

انهار (جمال)، هاتفًا في شحوب:

- يا إلهي!.. لقد ضعنا.

التفت إليه (كامل) في حِدَّةٍ، وضرب سطح مكتبه بقبضته، وهو يهتف:

لم يحن هذا بعد.

ثم نهض في عنفٍ، مستطردًا:

- أنتم تعلمون أن خطتنا محكمة للغاية، ولا أحد يمكنه كشف أمرنا مهما بلغ ذكاؤه، وكل ما يملكه هذا (العقرب) هو أن يسعى خلفنا وعلينا أن نستعد لهجومه.

ورفع كفَّه أمام وجهه، وفرقع سبابته وإبهامه، مردفًا في حزمٍ:

- ونقتنصه.

***

اقتحم (مجدي) مكتب (نديم) في عنفٍ، واندفع داخله، وعم (أحمد) يعدو خلفه، صائحًا في احتجاج واستنكار:

- لا يا سيدي.. لا يمكنك دخول المكتب هكذا.

ولكن (مجدي) تجاهله تمامًا، ولوح بسبابته في وجهي (نديم) و(غادة)، وهو يهتف:

- لقد تجاوزت حدودك هذه المرة يا (نديم).. تجاوزتها كثيرًا.

عقدت (غادة) حاجبيها في غضب، في حين رفع (نديم) عينيه إليه في هدوء، وهو يقول:

- مَن مِنَّا تجاوز حدوده يا (مجدي)؟.. إنَّني أجلس في مكتبي، وأما أنت فتقتحم هذا المكتب دون استئذان، ودون..

قاطعه (مجدي) في ثورة:

- دعك من أسلوبك الملتوي هذا يا (نديم).. كِلانا يعلم أنَّك (العقرب)، وأنَّك تتصوَّر نفسك حامي العدالة الوحيد، في هذا العالم، على الرغم من نجاحك في الإفلات مني أكثر من مرة، فلن أسمح لك أبدًا بلوغ حدِّ القتل.

تراجعت (غادة) في حركة حادة، هاتفة:

- القتل؟!

أما (نديم) فقد اكتفى بنظرة صارمة، وهو يقول:

- ماذا تقصد يا (مجدي)؟

ألقى (مجدي) البطاقة فوق المكتب، وهو يقول ثائرًا:

- أقصد هذه البطاقة، التي عثرت عليها إلى جوار جثة رجل، داخل شقة من الشقق المؤثثة، في حي (المنيل).. هل تعرف هذه البطاقة يا (نديم)؟ أليست بطاقتك؟

بدا الاهتمام على وجه (نديم)، وهو يلقي نظرة على البطاقة، التي تحمل شعار (العقرب)، ثم رفع عينيه إلى عم (أحمد)، دون أن يفقد صوته، وهو يقول:

- اتركنا وحدنا يا عم (أحمد).

أطاعه الكهل دون مناقشة، فتراجع في سرعة، وأغلق الباب خلفه في هدوء، فالتفت (نديم) إلى (مجدي)، وقال:

- اجلس يا (مجدي).

لم يطعه (مجدي)، وإنَّما قال في حِدَّةٍ، وهو يلوِّح بسبابته

في وجهه:

- اسمع يا (نديم).. لم يمكنك هذه المرة أن...

قاطعه (نديم) في صرامة:

- اجلس يا (مجدي).

كانت لهجته هذه المرة تحمل قدرًا هائلًا من الصرامة، أصاب (مجدي) في الصميم، فارتفع حاجباه لحظة، ثم عاد يعقدهما، واتخذ مجلسه على المقعد المقابل لمكتب (نديم)، مغمغمًا:

- لم أتصور أبدًا أنَّك ستبلغ هذا الحد.

قال (نديم) في حزمٍ:

- أخبرني أولًا ما حدث.

انطلق (مجدي) يروي له تفاصيل الأمر، منذ إبلاغه الجريمة، وحتى وصوله إلى مكتبه، واستمع إليه (نديم) في

اهتمام، ثم تبادل نظرة صامتة مع (غادة)، التي بدت شديدة التوتر والقلق، وقال:

- ولكن هذا الأمر عجيب بالفعل يا (مجدي)، فكلانا يعرف أنَّ (العقرب) لا يميل أبدًا للقتل.. أليس كذلك؟

قال (مجدي) في حِدَّةٍ:

- من يدري؟

اندفعت (غادة) تقول:

- من المؤكد أنَّها محاولة لتوريط (العقرب).

رمقها (مجدي) بنظرة نارية، وهو يقول:

- حتى لو كان الأمر كذلك بالفعل، فـ(العقرب) متهم بارتكاب جريمة قتل هذه المرة، وسأستصدر من وكيل النيابة أمرًا، بإلقاء القبض علـ...

قاطعه (نديم):

- على مَن؟.. (العقرب)؟

ارتبك (مجدي)، وانتبه فجأة إلى تلك المشكلة، التي تعترض طريقه دائمًا، ولكن هذا لم يزده سوى حنق، فقال:

- لن يمكنك الإفلات من العدالة إلى الأبد يا (نديم).. سأثبت حتمًا أنَّك (العقرب)، وسألقي القبض عليك، بكل ما ارتكبته.

قال (نديم) في هدوء:

- هل تقتنع حقًّا بأنَّ (العقرب) قد ارتكب ما يوجب إلقاء القبض عليه؟

نهض (مجدي) في حِدَّةٍ، وهو يقول:

- إنَّه يخالف القانون.

تطلَّع إليه (نديم) في هدوءٍ، وقال:

- ولكنه لا يقتل أبدًا يا (مجدي).. خذها كلمة مني.

ران عليهما الصمت لحظة، وكلاهما يتطلَّع إلى عيني الآخر، ثم لم يلبث (مجدي) أن انحنى، والتقط البطاقة من أمام (نديم)، ودسَّها في جيبه، وهو يقول:

- فليكن، ولكن هذا لا يمنعني من تسليم هذه البطاقة للعدالة، فهي إحدى أدلة الاتهام، في جريمة قتل، سيدفع فيها القاتل الثمن.

واتجه نحو الباب، مستطردًا في صرامة:

- حتمًا.

وأغلق الباب خلفه في عنف..

ومضت لحظات من الصمت، قبل أن تسأل (غادة):

- ولكن لماذا؟.. لماذا قتلوا الرجل؟

أجابها (نديم) في حزمٍ، بعد برهة من الصمت:

- إنَّها حرب يا (غادة)، وكل شيء مباح في الحروب.

ثم نهض من خلف مكتبه، واتجه إلى جزء من الحائط، ضغط زرًّا خفيًّا إلى جواره، فانكشفت فجوة فيه، ظهر خلفها زي (العقرب) وقناعه، و(نديم) يستطرد:

- وينبغي أن يدرك (العقرب) هذا.

لم تنبس (غادة) ببنت شفة، وهي تتطلع إلى زي (العقرب) الأسود.

لقد أدركت ما يعنيه (نديم)..

إنَّها حرب..

حرب بلا رحمة..

***

-٦-

طبول الحرب

اقتربت زوجة (رضوان) من زوجها، وتطلَّعت إليه في قلق، وهو يجلس أمام النافذة، متطلعًا إلى حديقة الفيلا في خوفٍ وتوترٍ واضحين، ويفرك كفيه في عصبية، ولم تكد تضع يدها على كتفه، حتى انتفض في قوة، والتفت إليها في هلعٍ، فتراجعت في دهشةٍ وخوفٍ، وهتفت به:

- ماذا هنا يا (رضوان)؟.. ماذا أصابك، منذ عودتك من الشركة هذه المرة؟

لوَّح بيده في عصبية، وهو يقول:

- لا شيء.. لا شيء.. اتركيني وحدي.

قالت في عنادٍ:

- لا يمكنني أن أتركك وحدك.. إنَّك تعاني من توترٍ بالغٍ و..

صاح بها في حِدَّةٍ:

- قلت اتركيني وحدي.

عقدت حاجبيها في غضب، وهي تقول:

- أريد أن أفهم ما يحدث هنا.. لقد صرفت بواب الفيلا، وأتيت بدلًا منه برجلين، كل منهما يذكرني بعتاة المجرمين، في الأفلام القديمة، ويحمل في جيبه مسدسًا ضخمًا، تبرز ملامحه في وضوحٍ، أسفل سترة ضخمة، فلماذا تفعل كل هذا؟.. ما الذي يهددك؟

صرخ بها:

- قلت اتركيني وحدي.. هيا.. انصرفي.

غادرت المكان في غضبٍ، وصفقت الباب خلفها في عنفٍ، فقال في عصبية:

- اذهبي إلى الجحيم.

ثم عاد يجلس على المقعد المقابل للنافذة، مستطردًا:

- أو يأتي الجحيم إلى هنا.

وعاد يرتجف..

***

تحسَّس أحد الرجلين، اللذين أحضرهما (رضوان) لحراسته، مسدسه داخل سترته الواسعة، ونقل إليه ملمسه شيئًا من الاطمئنان، وهو يلتفت إلى زميله قائلًا:

- كم الساعة الآن؟

تطلَّع زميله إلى ساعته، قال في تكاسل:

- الثانية إلا خمس دقائق، بعد منتصف الليل.

اكتفى الرجل بهذا الجواب ثوان، ثم عاد يقول:

- أتظن شيئًا سيحدث الليلة؟

هزَّ زميله كتفيه، وقال:

- لا.. لا أظن هذا.

ثم استدرك بسرعة:

- ولكننا سنقوم بواجبنا.

أجابه زميله:

- بالتأكيد.

ثم التقط علبة سجائره، وناوله سيجارة، ومنح نفسه أخرى، وهو يستطرد مبتسمًا:

- ما دمنا نتناول أجرنا.

أشعل زميله السيجارتين، ونفث كل منهما دخان سيجارته في صمت، قبل أن يقول الأول:

- هل تصدِّق قصة المقنع هذه؟

هزَّ زميله كتفيه، وقال:

- مهمتنا ليست التصديق، أو دراسة الأمر.. نحن هنا لحراسة (رضوان) بك فحسب.

ابتسم الأول، وقال:

- أعلم هذا، ولكن ماذا لو...؟

لم يتم عبارته هذه؛ لأن ضوءًا غمرهما بغتة، مع صوت توقُّف سيارة مسرعة، وصرير إطاراتها، وهي تحتك بالأرض، فقفز كلاهما ينتزع مسدسه، والتفتا إلى مصدر الصوت، وقد تحفَّزا للقتال، لولا أن سمعا صوتًا أنثويًّا رقيقًا، يقول:

- معذرة.. هل يمكنكما أن ترشداني إلى الطريق الرئيسي؟

تطلَّعا في دهشة إلى الفتاة الجميلة، التي تقف خلف باب الفيلا المعدني مبتسمة، ثم أسرع أولهما يعيد مسدسه إلى جيب سترته، وهو يقول:

- بالتأكيد.. إنَّه قريب من هنا.

سألته في عذوبة:

- أين؟

أعاد الآخر مسدسه إلى جيبه بدوره، وابتسم وهو يتابع حديث زميله مع الفتاة، عندما لاحظ أنَّه يطيل الشرح بلا داع، حتى أومأت الفتاة برأسها، وابتسمت ابتسامة جذابة، وهي تقول:

- شكرًا لك.. لقد ساعدتني كثيرًا.

أجابها الرجل في حماس:

- مرحبًا بك في أي وقت.

لوحت له بكفها، وعادت إلى سيارتها، وانطلقت بها بسرعة كبيرة، والرجلان يتابعانها ببصرهما في افتتان، قبل أن يغمغم الأول:

- إنَّها جميلة.

علق الثاني باقتضاب:

- وجذابة.

شملهما الصمت لحظة أخرى، ثم قال الأول، وهو يطلق تنهيدة عميقة:

- لعل هذا أفضل ما في ليلتنا هذه.

في نفس اللحظة، التي أطلق فيها هذه التنهيدة، كانت الفتاة تقول لنفسها في خفوت:

- هأنتِذي قد قمتِ بدورك يا (غادة).. بقي أن ينجح (العقرب) في القيام بدوره.

وواصلت ابتعادها بالسيارة..

***

ألقى (رضوان) نظرة متوترة على ساعة معصمه، ورفع عينيه إلى النافذة المطلة على حديقة الفيلا، ثم غمغم:

- لا.. لا أظن شيئًا يحدث الليلة.. إنَّها الثانية والنصف، بعد منتصف الليل.

قالها، وأطلق من صدره تنهيدة ارتياح، ثم نهض من مقعده، مستطردًا:

- يمكنني الآن الذهاب إلى فراشي، و...

اختنقت العبارة في حلقه، وهو يدور حول مقعده، وتصلبت قدماه في موضعهما، واتسعت عيناه في ذعرٍ وذهولٍ، حتى كادتا تثبان من محجريهما، وهو يحدِّق في وجه (العقرب)، وقناعه الأسود، وقد جلس هذا الأخير هادئًا، على مقعد يواجهه تمامًا..

وران على الحجرة صمتٌ مخيفٌ، أشبه بسكون المقابر، قطعه صوت أسنان (رضوان)، وهي تصطك ببعضها البعض، ثم صوت (العقرب)، وهو يقول في هدوءٍ مثيرٍ:

- هل أفزعتك؟

وعلى الرغم من رجلي الحراسة في الخارج، لم يطلق (رضوان) صرخة استنجاد واحدة، وإنَّما سقط جاثيًا على ركبتيه، وقال في انهيار:

- الرحمة!

لم يغادر (العقرب) مقعده، وإنَّما بقي جالسًا، واضعًا إحدى ساقين فوق الأخرى، وعاقدًا أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول في هدوء:

- الوقت سابق لطلب الرحمة يا (رضوان)، فلم يبدأ حديثنا بعد.

هتف (رضوان) مرة أخرى، وقد تجمعت دمعة كبيرة في عينيه:

- الرحمة.!

تطلَّع إليه (العقرب) مرة أخرى في صمت، بعينين خاليتين

من أية تعبيرات، وهو يقول:

- أظنك قد انتبهت إلى أنَّ حارسيك لن يمكنهما منعي من الوصول إليك، مهما حاولت، فهما يوليان انتباههما إلى أمور خارج عملهما، بحيث يستطيع فيل ضخم التسلل من خلفهما إلى الداخل.

انهار (رضوان) تمامًا، وهو يكرِّر:

- الرحمة!. الرحمة!

مال (العقرب) نحوه في بطءٍ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول:

- وما الثمن؟.. ما ثمن الرحمة؟

هتف (رضوان) متوسلًا:

- سأمنحك كل ما تطلبه.. خذ نصف ثروتي.. بل ثروتي كلها، ولكن اتركني أحيا.. أرجوك.

اعتدل (العقرب)، وقال:

- لا.. لست أطلب نقودًا.

هتف (رضوان):

- سأمنحك أي شيء تطلبه.

مال (العقرب) نحوه مرة أخرى، في حركة حادة، وهو يقول في صرامة مباغتة:

- أريد جوابًا واحدًا.

انتفض جسد (رضوان)، وهو يتراجع في حركة عنيفة، واتسعت عيناه في شدة، وهو يقول:

- جوابًا؟!

سأله (العقرب) في صرامة:

- كيف تختلسون البترول؟

شحب وجه (رضوان) في شدة، ونهض بساقين مرتجفتين، وألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه، وهو يقول:

- ومَن أخبرك أنَّنا نختلس البترول؟

ثم لوَّح بيده كلها وهو يستطرد في توتر:

- أنت تعلم أنَّه من المستحيل اختلاس البترول، فكل الآبار التابعة للشركة تنتج كميات معروفة من البترول، يتم نقلها عبر أنابيب خاصة إلى ميناء السويس، حيث تُضخُّ داخل خزانات هائلة، لناقلات البترول العملاقة، ولا يمكن لناقلة أن تبحر، دون أن يمتلئ خزانها تمامًا، وسعة خزان كل منها معروفة، ولا يمكن التلاعب بها.. وحتى لو اكتفت الناقلة بكمية أقل، فلن يسمح لها مسئولو الشركة هناك بهذا، وكذلك الشركة، التي يصل إليها البترول في النهاية.

سأله (العقرب) في اهتمام:

- وماذا لو تم إنشاء خط أنابيب فرعي، ينقل جزءًا من البترول إلى ناقلات خاصة؟

أجابه (رضوان) هذا مستحيل، فإنشاء خط أنابيب فرعي مشروع ضخم، لا يمكن تنفيذه في الخفاء، ثم كيف يمكن نقل بترول إلى ناقلة بترول، دون أن يخضع هذا لمراقبة ومتابعة الجهات المسئولة.

قال (العقرب) في صرامة:

- إنَّني أنتظر منك جواب هذا السؤال.

عاد وجه (رضوان) إلى شحوبه، وهو يقول:

- أي جواب؟.. إنَّني لن..

هبَّ (العقرب) من مقعده بغتة، وجذب (رضوان) من ياقته، قائلًا في صوتٍ يتجمَّد له الدم في العروق:

- أريد الجواب.

وفجأة انطلقت من خلف (العقرب) صرخة رعب هائلة..

صرخة انطلقت من بين شفتي زوجة (رضوان)..

وانقلبت الأمور رأسًا على عقب.

***

لم تكد صرخة الزوجة تنطلق، حتى انتفض حارسا الفيلا من موضعهما، وهبَّا واقفين، وكلاهما ينتزع مسدسه، وهتف الأول:

- ماذا حدث؟

أجابه الآخر دون انتظار:

- لستُ أدري.. هناك شيء ما في الفيلا.. هيا بنا.

انطلقا يعدوان نحو الفيلا، في نفس الوقت الذي تخلَّى فيه (العقرب) عن (رضوان)، والتفت إلى زوجته، قائلًا:

- رويدك يا سيدتي.. إنَّني لست لصًّا.

لم تناقشه الزوجة، وإنَّما أطلقت صرخة رعب أخرى، وهي تحدِّق في قناعه الأسود، وتتراجع فزعة..

ثم اقتحم الحارسان الحجرة..

ومع اقتحامهما، عادت الشجاعة بغتة إلى (رضوان)، فصاح:

- اقتلاه.. اقتلاه.

لم يكن أحدهما ينتظر صدور الأمر، ففور اقتحامهما الحجرة، رفع كل منهما مسدسه إلى وجه (العقرب)..

وفي نفس اللحظة تحرَّك (العقرب)..

استدار بسرعة، واندفع نحو النافذة الزجاجية المغلقة، وألقى جسده نحوها..

وانطلقت رصاصتا الحارسين..

وعبر (العقرب) النافذة مع الرصاصتين.

وعندما هبط إلى الحديقة، كان قد علم أين استقرت

الرصاصتان..

لقد عبرت إحداهما الزجاج معه، أما الثانية، فقد عبرت ساقه اليسرى، ومرقت إلى جوار عظمة الساق، ثم خرجت من الناحية المقابلة، مع خيطٍ من الدم.

وصرخ أحد الحارسين:

- لقد أصبته.. لقد أصبته.

واصلت زوجة (رضوان) صراخها، فاندفع زوجها نحوها، وهوى على وجهها بصفعة قوية، وهو يصرخ:

- اخرسي أيتها المأفونة.. اخرسي.. لا أريد فضائح هنا.

أسرع الحارسان يتطلعان إلى الحديقة، عبر النافذة المكسورة، وقال أحدهما في توتر:

- أين هو يا (زهدي)؟

هتف (زهدي) في عصبية:

- لا بدَّ أنَّه هناك.. لقد أصابته رصاصتي.. أنا واثق من هذا.

صاح بهما (رضوان):

- المهم ألا تسمحا له بمغادرة الفيلا حيًّا، ولو أنَّه نجح في عبور أسوارها للدخول، فلن نسمح له بعبورها للخروج.

هتفت زوجة (رضوان) في فزع:

- ماذا يحدث يا (رضوان)؟.. هل أصبحت زعيم العصابة؟

صرخ بها في شراسة:

- اخرسي يا امرأة.

وعاد يلتفت إلى الحارسين، مستطردًا:

- أسرع إلى بوابة الفيلا يا (سعد)، ولا تسمح لمخلوق واحد بالخروج منها، حتى لو اضطررت لقتله، أما أنت يا (زهدي) فتعال معي.. سنفتش الحديقة كلها بحثًا عنه.

قالها واندفع نحو مكتبه، وانتزع منه مسدسًا كبيرًا، فصرخت زوجته:

- (رضوان)؟!

تجاهلها هذه المرة، وغادر الحجرة مع (زهدي)، وأسرع كلاهما إلى الحديقة، وأضاء (زهدي) مصباحًا يدويًّا كبيرًا أسفل النافذة، وهو يقول:

- انظر يا سيدي.. هذه دماؤه.. لقد أصيب حتمًا..

تلفَّت (رضوان) حوله، وهو يقول في توتر:

- ولكن أين ذهب؟

أجابه (زهدي) في انفعال:

- سنجده حتمًا.. سنتتبع خيط الدم، حتى نبلغ مخبأه.

راحا يتتبعان خيط الدم في حذر، حتى بلغا شجرة ضخمة، فرفع (زهدي) مسدسه، وقال في حزمٍ:

- إنَّه فوق الشجرة.. أدفع عمري مقابل هذا.

سمع من خلف الجذع صوتًا يقول:

- يكفيني فكُّكَ.

وبرزت قبضة (العقرب) فجأة من خلف جذع الشجرة، وهوت كالقنبلة على فكِّ (زهدي)، الذي ترنَّح في قوة، وسقط مسدسه من يده، ولكن (رضوان) تراجع في سرعة، صارخًا:

- لا.. ليس ثانية.

وأطلق رصاصة من مسدسه..

***

ارتجف جسد زوجة (رضوان) في رعبٍ، مع دوي الرصاصات فكتمت فمها بكفها خشية أن تنطلق منه صرخة أخرى، وغمغمت في هلعٍ:

- يا إلهي!.. ما الذي يحدث هنا؟.. هل أصيب الجميع

بالجنون؟

وراحت تتلفَّت حولها في خوف وتوتر مستطردة:

- ماذا أفعل يا إلهي؟.. ماذا أفعل؟

وقع بصرها بغتة على الهاتف، وقفزت إلى ذهنها فكرة، جعلتها تتمتم:

- نعم.. ولم لا؟

أسرعت إلى الهاتف، والتقطت سماعته وأدارت قرصه بأصابع بلغت عصبيتها ذروتها، ولم تكد تسمع صوت محدثها، حتى هتفت:

- (كامل) بك.. حمدًا لله أنَّني وجدتك.. يؤسفني إيقاظك في مثل هذه الساعة.

أدرك (كامل شكري) على الفور، أن (رضوان) يتعرَّض لنوعٍ ما من المتاعب، وبثَّ هذا الكثير من التوتر في أعماقه، على الرغم من صوته، الذي حافظ على هدوءه، وهو يقول:

- لا.. إنَّني لم أنم بعد.. ماذا هناك؟.. هل أصاب (رضوان) مكروه ما؟

أجابته في اضطراب واضح:

- لست أدري.. إنَّه يتصرف على نحو عجيب.. كل شيء هنا مخيف.

قال في حزمٍ:

- اهدئى يا سيدتي، وأخبريني ماذا حدث بالضبط؟

قالت في ارتباك:

- لقد ظلَّ (رضوان) ساهرًا، حتى الثانية والنصف صباحًا، ولقد أقلقني هذا، فهبطت إلى مكتبه لأطمئن عليه، ففوجئت برجلٍ مقنَّع في مكتبه.

هتف (كامل)، وقد قفز توتره إلى الذروة:

-مقنَّع؟!.. هل وجدت ذلك المقنع المتشح بالسواد في

مكتبه؟

قالت السيدة في دهشة:

- هل تعرفه يا (كامل) بك؟

صاح بها، متجاوزًا كل حدود اللياقة:

- دعك من هذا الآن، وأخبريني.. ماذا حدث عندئذ؟

أجابته بسرعة:

- لقد أطلقت صرخة، فأسرع الحارسان الجديدان إلى الفيلا، وأطلقا النار على ذلك المقنَّع، ولكنه قفز عبر النافذة إلى الحديقة.. أحد الحارسين يقول: إنَّه قد أصابه برصاصة، ولقد خرج الجميع للبحث عنه في الحديقة، وسمعت (رضوان) يأمر الرجلين بقتله، وأنا أشعر بخوف شديد يا (كامل) بك، خاصة وقد سمعت طلقًا ناريًا في الحديقة، وأخشى أن..

قاطعها (كامل):

- سأقوم باللازم يا سيدتي.. اطمئني.

وأنهى المحادثة في عصبية، ثم أشعل سيجارته، وهو يحدِّث نفسه، قائلًا:

- إذن فقد هاجم ذلك (العقرب) (رضوان).. يا للسرعة، التي تجري بها الأمور!

نفث دخان سيجارته مرات في عصبية، ثم قال في حزمٍ:

- الأمر يحتاج إذن إلى تدخُّل سريع.

وعاد يرفع سماعة الهاتف، ويطلب رقمًا جديدًا، وقال لصاحبه:

- إنَّه أنا يا (وجيه).. (كامل شكري).. نعم.. أعلم كم الساعة الآن.. أريدك أن تجمع رجالك على الفور، وتتجه بهم إلى فيلا (رضوان)، فهو يقاتل (العقرب) هناك.. نعم.. (العقرب).. وأنا أريد هذا (العقرب) الليلة يا (وجيه).. مسحوقًا.

وأنهى المحادثة..

***

من العجيب في هذه الحياة، أنَّه حتى للخطأ فوائده، وأنَّ البعض يستفيد من أخطاء الآخرين..

هذا ما حدث..

فعلى الرغم من أنَّ (رضوان) يمتلك مسدسًا، ويحمل ترخيصًا خاصًّا بحمله واستخدامه، إلا أنَّه لم يطلق منه، في عمره كله، سوى رصاصة واحدة، وهي التي أطلقها على (العقرب)، في حديقة الفيلا.. وكان هذا من حسن حظِّ (العقرب)..

لقد أطلق (رضوان) رصاصته نحو بطلنا، ولكنه لم يصب هدفه، وإنَّما انحرفت الرصاصة، وأصابت جذع الشجرة، فتراجع (العقرب) بسرعة، وانحنى يلتقط مسدس (زهدي)، وهو يقول:

- دوري يا (رضوان).

ولكن (رضوان) ألقى مسدسه في رعب، ورفع ذراعيه فوق رأسه، وهو يهتف مرتجفًا:

- لا.. لا.. إنَّني أستسلم.

شعر (زهدي) بغضبٍ هائل في أعماقه، وهو يرى كل ذلك الخوف، في ملامح (رضوان) وتصرفاته، ونهض في بطء، وهو يقول ساخطًا:

- يا للعار!.. نستسلم لرجل مصاب؟

هزَّ (العقرب) كتفيه، وقال:

- هذا قدرك يا رجل.

ثم استدار إلى (رضوان)، وتابع في صرامة:

- ما زلت أنتظر جواب سؤالي يا (رضوان).

تصبَّب عرق الخوف على وجه (رضوان)، وهو يقول:

- لستُ أملك جوابًا.

جذب (العقرب) إبرة مسدسه، وهو يقول:

- هل تراهن على هذا؟

ولكن فجأة زال الرعب من ملامح (رضوان)، واستعاد بعض شجاعته، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- نعم.. أراهن.

وفي نفس اللحظة اندفع من خلف (العقرب) صوت صارم، يقول:

- هل يمكنني المشاركة في هذا الرهان؟

وهنا صاح (زهدي):

- اقتله يا (سعد).

تراجع (العقرب) في حركة غريزية حادة، والتفت يواجه

خصمه الجديد، إلا أنَّ (زهدي) اندفع خلفه كخرتيت ثائر، وهو يكرِّر صارخًا:

- أقتله.

ثم هوى بقبضته على فكِّ (العقرب)، بكل ما يملأ نفسه من غضبٍ وثورة..

وأصابت اللكمة هدفها هذه المرة..

واختلَّ توازن (العقرب)، مع قوة اللكمة، وساقه المصابة، وارتطم ظهره بجذع الشجرة، فكال له (زهدي) لكمة أكثر قوة، وهو يصرخ:

- أو أقتله أنا.

كانت الضربة بالغة القوة، ضربت رأس (العقرب) بجذع الشجرة، وأظلمت الدنيا أمام عينيه، ومادت به الأرض..

وسقط..

سقط (العقرب) فاقدًا الوعي..

سقط بين خصومه..

وران صمت رهيب لحظة، وكأنَّما لا يصدق هؤلاء الخصوم أنهم قد أوقعوا بـ(العقرب)، ثم هتف (زهدي) في ظفر:

- لقد أوقعنا به.

انتابت (رضوان) فرحة جنونية، وهو يصرخ:

- نعم.. لقد أوقعنا به.. لقد أوقعنا به.

بدا الانفعال على وجه (زهدي)، وهو يقول:

- يكاد يقتلني الفضول لنزع قناعه، ورؤية وجهه.

أجابه (رضوان) بنفس الانفعال:

- إنَّني أشاركك هذا الفضول.

ثم اعتدل قائلًا في حزمٍ:

- هيا.. انزع قناعه.

أطاعه (زهدي) في سرعة وانحنى لينزع القناع..

قناع (العقرب).



-٧-

اقتحام

شعرت زوجة اللواء (حلمي) بالقلق، عندما استيقظت من نومها، في الثالثة إلا ربع صباحًا، فلم تجد زوجها إلى جوارها، وأسرعت تبحث عنه في ردهة المنزل، وتنهدت في ارتياح، عندما وجدته جالسًا هناك، في الظلام، يتطلّع عبر نافذة الردهة، إلى الحديقة الكبيرة المواجهة للمنزل، في صمت وشرود، واقتربت منه لتضع كفها على كتفه في رفق، وهي تهمس في خفوت، وكأنَّما تخشى انتزاعه من شروده:

- هل أصابك الأرق؟

أومأ برأسه إيجابًا، وأجابها بصوت أقل خفوتًا:

- نعم.

سألته في رقة:

- لماذا لم تشعل الضوء؟

غمغم شاردًا:

- الظلام يجعل أعصابي أكثر هدوءًا، ويكفيني ضوء مصابيح الطريق، المتسلل إلى هنا.

جذبت مقعدًا، وجلست أمامه صامتة بعض الوقت، قبل أن تسأله:

- أهو أمر متعلق بالعمل؟

ابتسم ابتسامة شاردة، وأجاب:

- إلى حدٍّ ما.

سألته في اهتمام:

- أهناك مشكلة تواجهك؟ أعني بالنسبة للعمل.

لم يكن من عاداتها أن تسأله عن متابع العمل، ولم يكن من

المألوف أن يجيبها لو فعلت، إلا أنَّه قال هذه المرة:

- بل هناك صديق يؤدي إليَّ مهمة، من أجل العدالة، وأخشى أن يتعرض للخطر أو...

قاطعته في هدوء:

- إنَّها الضريبة.

أدار عينيه إليها في تساؤل، فأردفت في حماس:

- إنَّها الضريبة، التي يؤديها كل من يسعى لتحقيق العدالة.. أن يخاطر بنفسه وحياته.. أليس هذا ما أخبرتني به دومًا، منذ زواجنا؟.. ألم تواجه أنت نفس الموت عشرات المرات، من أجل العدالة؟.. ألم تخبرني بنفسك أنَّه من الطبيعي، على حماة القانون والعدالة، أن يواجهوا الموت بصدورهم العارية، في كل لحظة من لحظات حياتهم؟..

انتقل حماسها إليه، وهو يقول:

- نعم هذا أمر طبيعي.

وتنهَّد في ارتياح، وكأنَّما انزاح عن صدره حمل ثقيل، وعاد يتطلع إلى الطريق، قائلًا:

- نعم يا زوجتي العزيزة.. إنَّها الضريبة.. ضريبة حماة العدالة.

واسترخى في مقعده في هدوء..

***

امتدت يد (زهدي) نحو قناع (العقرب) في سرعة..

لم يعد يفصله عنه سوى جزء من الثانية، وبعدها تنتهي سرية شخصية (العقرب)..

ويسقط القناع..

إلى الأبد..

ولكن فجأة سطع الضوء..

ضوء مصباحي سيارة، عبر بوابة الفيلا، وبهر عيون الجميع..

واعتدل (زهدي) في حركة، والتفت (رضوان) إلى مصدر الضوء في ذعر، أما (سعد)، الذي كلفه (رضوان) مهمة حراسة البوابة، فقد استدار بجسده كله يواجه مصباحي السيارة، وعلى الرغم من الضوء الساطع، فقد لمح، خلف عجلة قيادة السيارة، نفس الفتاة الجميلة، التي سألته ورفيقه إرشادها إلى الطريق الرئيسي، منذ أقل من ساعة..

ولكنه لم يلمحها سوى ثوان معدودة..

ثم اقتحمت السيارة بوابة الفيلا..

اقتحمتها بضجة هائلة، انتزعت إحدى ضلفتي البوابة من مفصليهما، في حين انتزع (سعد) مسدسه، صارخًا:

- إنَّها خدعة..

ولكن السيارة مالت نحوه بحركة حادة، وضربته بجانبها الأيسر في عنف، فأطاحت به إلى حوض من أحواض الزهور،

ثم أكملت طريقها بلا تردد، وعبرت ممر الفيلا وحديقتها في سرعة مخيفة، لتتوقف على قيد متر من (رضوان)، الذي تراجع صائحًا:

- النجدة يا (زهدي)!!

رفع (زهدي) مسدسه نحو السيارة، ولكن الفتاة الجميلة قفزت خارجها في سرعة مدهشة، وأطلقت من مسدسها الصغير رصاصة واحدة، أصابت مسدس (زهدي)، وأطاحت به بعيدًا، فتراجع هذا الأخير في دهشة وذعر، في حين هتفت الفتاة بلهجة آمرة:

- هيا.. احملا (العقرب) في سرعة، وضعاه داخل السيارة.

لمحت تردُّدهما، فأضافت في صرامة:

- أو أنسف رأسيكما بلا تردد.

كان هذا الجزء كافيًا، لينتزع الاثنين نفسيهما من ذعرهما، ثم يحملان (العقرب)، ويضعانه على المقعد الخلفي للسيارة، وبعدها زمجر (زهدي)، وقال:

- لولا مسدسك هذا لحطمت عنقك.

ابتسمت ساخرة، وقالت:

- بالتأكيد، فهذه شيمة الجبناء.

ثم تلاشت سخريتها، وهي تستطرد في حزمٍ:

- هيا.. ابتعدا.

تراجع الاثنان في سرعة، فأدارت محرك السيارة، وهتفت، وهي تلقي ببطاقة من بطاقات (العقرب) عبر نافذتها:

- تحياتنا للجميع.

وتراجعت بالسيارة في سرعة، ثم أدارتها في مهارة مدهشة، وانطلقت بها تعبر بوابة الفيلا مرة أخرى؛ وصاح (زهدي) في غضب:

- اللعنة!

والتفت إلى (رضوان)، يسأله في سخط:

- ماذا ينبغي أن نفعل يا سيدي؟

أتاهما صوت زوجة (رضوان)، وهي تقول في صوت مرتجف:

- لقد فعلت أنا ما ينبغي فعله.

استدار إليها في دهشة، فأكملت في صوت أكثر ارتجافًا:

- لقد أبلغت الشرطة.

***

لم تكد السيارة تبتعد بضعة أمتار عن فيلا (رضوان)، حتى ندَت عن (العقرب) آهة ألم، ارتفعت بعدها يده تتحسس رأسه، وهو يتمتم:

- ماذا حدث؟

ابتسمت (غادة) في حنان، وقالت:

- كنت أتصور أنَّك ستستعيد وعيك بعد ساعة على الأقل، ولكن يبدو أن رأسك أكثر صلابة، مما كنت أتوقع.

فاعتدل جالسًا على المقعد الخلفي، وهو يسألها في هدوء، وكأنَّما لم يكن فاقدًا الوعي منذ لحظات:

- هل اقتحمتِ بوابة الفيلا؟

لوَّحت بكفها في زهو ومرح، وهي تقول:

- بالطبع.. لقد نفذت الخطة الموضوعة بحذافيرها أيُّها القائد، فقد اتخذت أول منحنى، وأوقفت السيارة، ورحت أراقب الفيلا، من فوق صخور المقطم، ولم أكد ألمح تلك المطاردة في حديقتها، حتى أدركت أن لحظة الاقتحام قد حانت، ولكنني لم أتوقع أن أجدك فاقدًا الوعي هناك، وإنَّما تصورت أنَّني سأقتحم الفيلا، وتقفز أنت إلى السيارة، ونبتعد على الفور.

وضحكت مستطردة:

- أنت إذن الذي خالف الخطة.

لم تتلق منه جوابًا، فعقدت حاجبيها، مغمغمة:

- معذرة.. كنت قد نسيت أنَّك تكره الضحك والمرح والـ...

قاطعها في حزمٍ:

- زيدي من سرعة السيارة يا (غادة).

سألته في دهشة:

- لماذا؟

أجابها في حسم:

- أخشى أن تصيبك رصاصات هؤلاء الأوغاد الذين يطاردوننا.

نقلت بصرها في سرعة إلى مرآة السيارة، ورأت ضوء السيارة الأخرى، التي تقترب من سيارتها في سرعة..

ولم يكن هو الشيء الوحيد الذي رأته..

لقد كانت هناك فوهة تطل من نافذة السيارة الأخرى..

فوهة مدفع آلي..



-٨-

مطاردة

دعك العقيد (مجدي) عينيه، ليذهب عنهما أثر النوم، وهو يستقبل الرائد (حسن) في ردهة منزله، ويقول في عصبية:

- أتعشَّم أن يكون لديك سبب قوي للغاية، لإيقاظي في الثالثة صباحًا يا (حسن)، وإلا فستتمنى لو أنَّك لم تلتحق أبدًا بكلية الشرطة، أو..

قاطعه (حسن) في انفعال:

- إنَّه (العقرب) يا سيدي.

انتفض (مجدي) في قوة، كما يحدث كلما سمع اسم (العقرب)، وتبخَّر كل أثر للنوم في عينيه ورأسه، وهو يمسك كتفي (حسن) في قوة، ويهتف به:

- أين؟

أجابه (حسن):

- لقد هاجم فيلا في المقطم، يملكها رجل يُدعى (رضوان)، يعمل مديرًا لمخازن شركة بترول ضخمة و...

هذه المرة قاطعه (مجدي)، وهو يندفع نحو حجرة نومه، هاتفًا:

- سنذهب على الفور.

ابتسم (حسن)، وهو يتابع تلك السرعة، التي يرتدي بها (مجدي) ملابسه، بعد سماعه الكلمة السحرية، التي تبث النشاط والحماس في عروقه كلها..

كلمة (العقرب)..

***

على الرغم من الهدوء الشديد، الذي تتميز به شخصية (نديم)، إلا أنَّ هذا لم يمنعه أبدًا من العمل بالسرعة الواجبة عند أدنى شعور بالخطر..

وعلى الرغم من إصابة ساقه اليسرى، إلا أنَّه قفز في مرونة، من المقعد الخلفي إلى المقعد المجاور لـ(غادة)، وهو يقول في حسم:

- أظن أنَّه من الأفضل أن أقود أنا، حتى يمكننا..

قاطعته في حزمٍ:

- بل سأتولى أنا مهمة القيادة، فساقك مصابة.

ورمقته بنظرة جانبية، وهي تردف:

- ثم إنَّني أيضًا كنت أعمل بالشرطة، لو أنَّك ما زلت تذكر هذا.

تراجع في هدوء، واسترخى في مقعده في بساطة، وكأنَّما يحيط به الأمان من كل جانب، وقال:

- فليكن.

ضغطت (غادة) دواسة الوقود، وانطلقت بالسيارة في تسارع مباغت، أدهش مطارديها، فزادوا من سرعة سيارتهم بدورهم..

وبدأت مطاردة شرسة..

على حافة المقطم..

وداخل سيارة المجرمين، كان (وجيه) يهتف في غضب:

- اللعنة.. هذه الفتاة تقود سيارتها كالمجنونة، دون أن تبالي بالمنحنيات أو المرتفعات.

قال سائق السيارة في غيظ:

- لا تنس أيُّها الزعيم أن سيارتها صغيرة رياضية، على عكس سيارتنا، و...

قاطعه في حِدَّةٍ:

- اصمت.

ثم التفت إلى آخر، وقال:

- (هشام).. أنت أبرعنا في إصابة الهدف.. قل لي: هل يمكنك إصابة إطار سيارة الفتاة، مع حركتها السريعة هذه.

تألقت عينا (هشام) في حماس، وهو يقول:

- بالطبع.. إنَّني قادر على إصابة ذبابة، فوق أنف قطٍّ عصبي، دون أن يشعر القط، أو...

قاطعه (وجيه) في عصبية:

- دعك من هذه المحاضرة المزهوة، وأرنا هذا عمليًّا.

ابتسم (هشام)، ورفع بندقيته على كتفه، وهو يقول:

- سترى أيُّها الزعيم.

كانت (غادة) تعبر - في هذه اللحظة - منحنى بالغ الصعوبة، عندما صوب (هشام) بندقيته إلى إطار سيارتها الأمامي، وأطلق من شفتيه صفيرًا مرحًا، ثم هتف في زهو:

- بطلقة واحدة.

وأطلق رصاصة من بندقيته..

وأصاب الهدف..

***

كانت الإصابة مباغتة وعنيفة بالفعل، وكان أسوأ ما فيها هو توقيتها؛ إذ أصابت إطار السيارة، في نفس اللحظة، التي اتخذت فيها (غادة) أصعب زاوية للمنحنى..

وانفجر الإطار بدوي أشبه بانفجار قنبلة، وانحرفت السيارة في عنف، نحو حاجز الهاوية، وصاح (نديم):

- احترسي.

وبكل ما تملك من قوة ومهارة، تشبثت (غادة) بعجلة القيادة، وأدارتها في الاتجاه المضاد، فاحتك جانب السيارة بالحاجز المعدني، وتطايرت مع احتكاكهما شرارات عنيفة،

قبل أن تبتعد السيارة عن الحاجز وتميل على نحو خطر، في اتجاه الصخور..

وفي السيارة الأخرى صاح (وحيد) في ظفر:

- لقد أصبتهم.. لقد نجحت يا (هشام).. رائع يا فتى!! رائع!!

ابتسم (هشام) في زهو، وهو يقول:

- أكان لديك أدنى شك في هذا.

أما سائق السيارة، فقد عقد حاجبيه، وهو يقول في قلق:

- ولكن المشهد يبدو لي كما لو أن هذه الشيطانة تملك زمام القيادة، في مهارة تُحسد عليها، على الرغم من صعوبة الموقف.

قهقه (وجيه) ضاحكًا، وهو يقول:

- فليكن يا رجل.. حتى لو لم تسقط السيارة في الهاوية، فستتوقف لانتظارنا على الأقل.

وكان محقًّا في قوله هذا..

فعلى الرغم من مهارة (غادة)، وأعصابها القوية، التي ساعدتها على السيطرة على الموقف، إلا أنَّ التوقف صار ضرورة حتمية، مما جعل (غادة) تقول في سخرية مريرة، وهي تضغط فرامل السيارة:

- معذرة أيُّها الراكب الوحيد.. يبدو أنَّها آخر محطة.. إجباريًّا.

تأكَّد (نديم) من تثبيت قناعه الأسود على وجهه، وقال في حزمٍ، وهو يراقب سيارة المجرمين، التي اقتربت منهما:

- لا بأس يا (غادة).. من الواضح أنَّنا سنخوض معركة عنيفة هذه المرة، للدفاع عن روحينا.

مطّت شفتيها، وقالت:

- لقد خدعتني غريزتي الأنثوية، فلقد كنت أشعر أنَّنا سننجو، دون قتال.

توقفت سيارة المجرمين على قيد مترين من سيارتهما، فاعتدل (العقرب)، وهو يقول:

- لم أثق أبدًا في ذلك الوهم، الذي يطلقون عليه اسم الغريزة الأنثوية.

عقد حاجبيها في ضيق، ثم أمسكت مسدسها في حزمٍ، عندما برز المجرمون الأربعة من سيارتهم، وكل منهم يمسك مدفعًا رشاشًا، وغمغمت:

- هل تظن أنَّ مسدسًا واحدًا يكفي، لمواجهة أربعة مدافع آلية؟

أجابها في هدوء:

- سلي غريزتك الأنثوية.

قالت في عناد:

- لقد سألتها.

ثم رفعت مسدسها إلى وجوه الرجال الأربعة، مستطردة:

- وأجابت بالإيجاب.

لم تكد تفعل ما فعلت، حتى ارتفعت فوهات المدافع الآلية الأربعة في وجهها ووجه (نديم)..

وأصبح الموقف يحتاج إلى اسم جديد..

اسم (مذبحة)..

***

-٩-

كيف؟

ما الذي يمكن أن يحدث، في مثل هذا الموقف؟..

أربعة مدافع رشاشة، في مواجهة مسدس واحد..

هل تتوقع أن تنطلق رصاصات المدافع الأربعة، فتصرع (العقرب) و(غادة)؟

هذا لن يحدث بالطبع، وإلا لانتهت قصتنا عند هذا الحد، بمصرع بطليها..

هل تهزم (غادة) المدافع الرشاشة الأربعة، بمسدسها فقط؟..

هذا أيضًا مستحيل، بالقياس إلى قدرات (غادة) العادية، وإلى كون (العقرب) بلا سلاح..

ماذا يمكن أن يحدث إذن؟..

دعني أخبرك بما حدث..

لقد كادت الأصابع تعتصر الأزندة، وكادت الرصاصات تنهمر من وعلى الجانبين كالمطر..

لولا ذلك الصوت..

صوت البوق المميز لسيارة شرطة، تقترب في سرعة..

لم يكد هذا الصوت يتضح فجأة، حتى شحبت وجوه المجرمين الأربعة، وهتف قائدهم (وجيه):

- تراجعوا يا رجال.. ابتعدوا عن هنا بأقصى سرعة.

تراجع المجرمون الأربعة في ذعرٍ، وقفزوا داخل سيارتهم وانطلقوا بها في سرعة، وصوت سيارة الشرطة يقترب، فهتفت (غادة) في دهشة، وهي تعيد مسدسها على جيبها:

- يا إلهي!.. هذا أعجب ما حدث لي، في عمري كله!! هل تتصوَّر أن..

قاطعها (العقرب) في حزمٍ:

- اختفي بسرعة.

غاصت في مقعدها، لتخفي جسدها فيه، واختفى هو بدوره، في نفس اللحظة التي مرقت فيها سيارة الشرطة إلى جوار سيارتهما، وهي تطلق بوق الطوارئ المرتفع، ثم لم تلبث أن تجاوزتهما، واختفت في منحنى بعيد، فاعتدلت (غادة)، وهي تهتف:

- هل رأيت مَن كان داخل السيارة؟

أجابها (نديم) في رصانة، وهو يضغط شفتيه بأسنانه، في محاولة للسيطرة على آلام ساقه:

- نعم.. رأيته.

أطلقت (غادة) ضحكة عالية، وقالت:

- يا لغرابة الدنيا!!.. أتظن أن عزيزنا (مجدي) قد يخطر بباله، ولو لحظة واحدة، أنَّه أنقذ حياتنا، دون أن يقصد؟

أجابها في هدوء:

- أظنه سيقتل نفسه، لو كشف هذا.

أطلقت ضحكة قصيرة أخرى، قطعها هو قائلًا:

- معذرة يا عزيزتي.. لستُ أحب قطع لحظات بهجتك، ولكن أظنك ستضطرين لاستبدال إطار السيارة التالف وحدك، فيبدو أنَّني قد فقدت الكثير من الدماء و...

ألقت نظرة هلعة على جرح ساقه، وهتفت:

- سأفعل بالطبع يا (نديم).. سأفعل أي شيء في الدنيا..

ورفعت عينيها إليه، مستطردة دون وعي:

- من أجلك.

ودون أن تدري، حمل إليه صوتها نبرة الحب..

كل الحب..

***

بدا (مجدي) شديد الانفعال، وهو يميل برأسه نحو زوجة (رضوان)، ويسألها بصوت مفعم بشتى المشاعر:

- إذن فقد رأيت مقنعًا يهاجم زوجك يا سيدتي.. هل يمكنك وصف هذا المقنع؟

ازدردت السيدة لعابها، في محاولة للتغلب على ذلك التوتر، الذي لم يفارقها بعد، وهي تجيب:

- إنَّه شاب على الأرجح، نحيل القوام، ولكنه متين البنيان، يرتدي قميصًا أسود اللون، وسروالًا وحذاءً وقفازين، من اللون نفسه، و...

قاطعها (مجدي) في لهفة:

- وملامحه؟.. ماذا عن ملامحه؟

هزت كتفيها، وقالت:

- وكيف يمكنني تبيُّن ملامحه، وهو يخفي وجهه كله تقريبًا بقناع أسود سميك و...؟

قاطعها في حنق:

- أعلم.. أعلم.

ثم أشاح بوجهه، مستطردًا في سخط:

- هذا ما يحدث دائمًا.

بدا مزيج من الضيق والغيظ على ملامحه، وهو يدير عينيه في المكان، قبل أن يلتفت إلى (رضوان)، ويسأله بغتة:

- قل لي يا سيد (رضوان): لماذا هاجم (العقرب) فيلتك؟

ارتبك (رضوان)، وتلعثم وهو يجيب:

- إنَّه مجرد لص، و...

قاطعه (مجدي) في صرامة:

- ما السبب الحقيقي يا سيد (رضوان)؟

قال (رضوان) في عصبية:

- ولماذا يتحتَّم وجود سبب آخر؟

أجابه (مجدي) في حزمٍ:

- لأنَّني أعرف (العقرب).

بدا هذا الجواب عجيبًا، وهو يخرج من بين شفتي رجل شرطة، يحقق في بلاغ ضد مجهول مقنَّع؛ لهذا فقد تطلع (رضوان) وزوجته إلى (مجدي) في دهشة، شاركهما فيها الرائد (حسن)، في حين لم ينتبه إليها (مجدي) نفسه، وهو يستطرد:

- إنَّني أختلف معه بالطبع، وأصر دائمًا على أنَّه يعمل بأسلوب مخالف للقانون، الذي يحتم ضميرى ومهنتي طاعته، إلا أنَّه ليس لصًّا، بأي حال من الأحوال.

قالت زوجة (رضوان) في عصبية:

- بم تفسر اقتحامه للفيلا إذن؟

أدار (مجدي) عينيه في بطء إلى (رضوان)، وهو يجيبها:

- هل ألقيت هذا السؤال على زوجك؟

تطلعت في دهشة إلى زوجها، الذي شحب وجهه في شدة، وعادت تنقل عينيها إلى (مجدي)، وتقول على نحو أكثر عصبية:

- وما شأن زوجي بالجواب أيُّها العقيد؟

ارتسمت على شفتي (مجدي) ابتسامة باردة، وهو يقول:

- هل ألقيت عليه هذا السؤال أيضًا؟

اندفع (رضوان) يقول في توترٍ بالغٍ:

- إنَّني رجل شريف يا سيادة العقيد، لا شأن لي بهؤلاء

المجرمين المقنعين.. لقد دافعت عن نفسي، كما يفعل أي رجل شريف، وعندما أطلقت النار على ذلك (العقرب)، لم أكن أقصد أن..

قاطعه (مجدي) هاتفًا:

- أطلقت عليه النار؟!.. هل أصبته؟

أجابه (زهدي):

أنا الذي أطلقت عليه النار يا سيادة العقيد، وأنا حارس خاص رسمي، أحمل ترخيصًا بمزاولة هذه المهنة، وآخر بحمل السلاح، و...

قاطعه (مجدي)، وهو أكثر انفعالًا:

- دعك من كل هذا.. هل أصبته؟

أجابه (زهدي) في دهشة:

- نعم.. لقد أصبته في ساقه، و...

قاطعه (مجدي) مرة أخرى:

- أأنت واثق؟

أجاب (زهدي):

- بالطبع.

برقت عينا (مجدي) في ظفر، ومد يده إلى (زهدي)، قائلًا:

- أعطني مسدسك يا رجل.

ناوله (زهدي) مسدسه، وهو يقول في توتر:

- أخبرتك أنَّني أحمل ترخيصًا بحمله..

اختطف (مجدي) المسدس من يد (زهدي)، وهو يقول:

- قلت لك: أعلم هذا.. أعلمه.

والتفت يناول المسدس إلى الرائد (حسن)، وهو يقول في

حماس:

- اعتبر هذا المسدس دليلًا، وسنطبق على (نديم) الليلة، وسننتزع الرصاصة من ساقه، ونقارنها برصاصات هذا المسدس، وسنثبت أن (نديم) هو (العقرب).

تبادل (رضوان) و(زهدي) نظرة سريعة، تألقت خلالها عيونهما، ثم أسرع (زهدي) يقول:

- لن يكون هذا هو الدليل الوحيد يا سيادة العقيد، فلقد حصلت على رقم سيارة الفتاة، التي عاونت ذلك (العقرب)، كما يمكنني التعرف إلى الفتاة نفسها، حتى ولو حاولت الاختفاء وسط مظاهرة ضخمة.

خُيِّل إلى الجميع أن عيني (مجدي) قد تحولتا إلى جمر ملتهب، وهو يقول بابتسامة واسعة، مفعمة بالظفر والسعادة:

- فتاة وسيارة.. يا إلهي!.. إنَّه يوم حظي الحسن بالتأكيد.. لأول مرة تكتمل كل الأدلة والقرائن، وتجتمع كلها بين أصابعي، وأنا أواجه (العقرب).

وقهقه ضاحكًا بغتة، على نحو لا يتناسب قط مع الظروف والأحداث، قبل أن يستطرد في ارتياح بالغ:

- أخيرًا سأسحقه.

وضم قبضته، مردفًا في شراسة:

- سأسحق (العقرب).

***

-١٠-

الدليل

هوت صفعة (كامل شكري) على وجه (وجيه) قوية عنيفة، تموج بالغضب والثورة، قبل أن يصرخ (كامل):

- هربتم؟!.. هكذا بكل بساطة؟!.. كيف يمكنني الاعتماد على ثلة من الجبناء أمثالكم، بعد ما فعلتموه؟

احتقن وجه (وجيه)، وهو يضع يده على موضع الصفعة، ويقول في حِدَّةٍ:

- هل كنت تفضل وقوعنا في أيدي الشرطة؟

لوح (كامل) بذراعه في سخطٍ شديدٍ، وهو يهتف:

- بل كنت أفضل أن تطلقوا النار على ذلك المقنع أولًا، ثم تلوذون بالفرار، أو...

قاطعه (وجيه) في سخط:

- إذن فأنت ترى أنَّه كان من المفروض أن نطلق مدافعنا الرشاشة، وكأنَّنا نعلن للشرطة عن وجودنا، ونجعل من أنفسنا هدفًا لهم.. لا يا سيدي.. إنَّنا نطيع أوامرك، وننفذ كل ما تطالبنا به؛ لأنَّنا نحصل منك على مقابل مادي يساوي ذلك، أما أن نلقي بأنفسنا في السجن من أجلك، فهذا أمر آخر.

ثم اتسعت عيناه في شراسة مخيفة، وهو يستطرد:

- وفي المرة القادمة سأقطع يدك بلا رحمة، لو صفعتني.

أدرك (كامل) خطأ فعلته، فازدرد لعابه في توتر، وغمغم:

- إنَّني لم أقصد هذا بالطبع.. معذرة.. إنما هي أعصابي الثائرة و... وكفى.

ران عليهما الصمت لحظة طويلة، بدا فيها كل الغضب على وجه (وجيه)، ثم لم تلبث ملامحه أن لانت تدريجيًّا، وهو يقول:

- ليكن.

ثم دس بين شفتيه سيجارة، أشعلها بقداحته في حركة سريعة، ونفث دخانها، قبل أن يستطرد:

- ولكن فرارنا لن يمنعنا من اقتناص ذلك (العقرب).

عقد (كامل) حاجبيه، وهو يسأله:

- كيف؟

ابتسم (وجيه) في دهاء، وهو يقول:

- لقد حصلت على رقم سيارة الفتاة، ولي صديق يعمل بإدارة المرور، يمكنه إرشادنا إلى صاحبة السيارة، وصديقة ذلك (العقرب).

هتف (كامل):

- رائع يا (وجيه).. رائع.. ومتى ستفعل هذا؟

اتسعت ابتسامة (وجيه)، وهو يقول:

- سيكون أول ما أفعله في الصباح أيُّها الزعيم.. أن أحفر القبر.

وارتسمت في عينيه ضحكة شيطانية، مع استطرادته:

- قبر (العقرب)..

***

لم يشعر (مجدي) بأدنى قدر من الدهشة، عندما استقبلته (غادة)، على باب منزل (نديم)، في الخامسة صباحًا، وإنَّما ابتسم في سخرية، وقال:

- هل يبدو لك أنَّه من الطبيعي أن أجدك هنا، في منزل رجل أعزب، في مثل هذا الوقت؟

ابتسمت (غادة) في سخرية، وقالت:

- وهل من الطبيعي أن تختار هذا الوقت لزيارته؟

أجابها في صرامة:

- لست هنا بغرض الزيارة.. إنَّها مهمة رسمية.

قالت ساخرة:

- وأنا هنا لمهمة طبية.

قال في خبث:

- أراهن أنَّها رصاصة، أصابت عزيزنا (نديم)، في ساقه اليسرى، أليس كذلك؟

رفعت حاجبيها في دهشة مصطنعة، وقالت:

- عجبًا!!.. هل أصبحت أحد قارئي الغيب؟

أجابها في صرامة:

- بل صرت شرطيًّا ناجحًا، يملك – لأول مرة – قضية متكملة، توقع بالسيد (نديم)، ورفيقته الحسناء.

قال في سخرية أحنقته:

- أحقًّا؟!

ثم أطلقت ضحكة عالية، جعلته يعقد حاجبيه في غضب، قبل أن تفسح له الطريق، مستطردة في سخرية:

- هيا إذن يا بطل الأبطال.. ألق القبض علينا.

وعلى الرغم من غضبه الشديد، اندفع (مجدي) داخل المنزل، وقطع الطريق إلى حجرة نوم (نديم) بخطوات واسعة، وهو يقول:

- سنرى من يضحك أخيرًا.

شيعته بضحكة ساخرة أخرى، جعلته يدفع باب حجرة نوم (نديم)، بقدمه في عنف، ويقول في حِدَّةٍ:

- إنَّني ألقي القبض عليك يا (نديم فوزي)، بتهمة الـ...

بتر عبارته بغتة، واحتسبت الكلمات في حلقه، وهو يحدِّق في المشهد أمامه..

لم يكن (نديم) وحده في حجرته..

كان هناك طبيب..

طبيب (نديم) الخاص..

وكان من الواضح أن الطبيب قد انتهى من عمله منذ لحظات، فقد كان يجفف يديه، بعد أن انتزع قفازه الجراحي، وهو يلتفت إلى (مجدي)، ويبتسم قائلًا:

- صباح الخير يا (مجدي).. كيف حالك يا ولدي؟.. هل أتيت للاطمئنان على زميلك القديم (نديم)؟

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وقد اشتم رائحة السخرية، في كلمات الطبيب الكهل، وقال في حِدَّةٍ:

- بل أتيت لإلقاء القبض عليه يا دكتور (قدري).

رفع الطبيب حاجبيه، في دهشة واضحة الاصطناع، وهو يقول:

- إلقاء القبض عليه؟!.. بأية تهمة يا ولدي؟

قال (مجدي) في عصبية:

- دعك من التهمة، ولتقم بواجبك، كأي رجل شريف، وتسلمني الرصاصة، التي استخرجتها من جرح (نديم).

أجابه الدكتور (قدري) في هدوء:

- ولكنني لم أستخرج أية رصاصات من جسد (نديم) يا رجل، فلقد اخترقت الرصاصة ساقه، ونفذت منه، وارتطمت بالحائط هناك، و...

قاطعه (مجدي) في غضب:

- لا تشر إلى هذا الحائط يا سيدي، فأنت تعلم أنَّه لم يصب بالرصاصة هنا، بل في فيلا بالمقطم، في الثالثة إلا الربع صباحًا، و...

هتف الطبيب مقاطعًا:

- ولكن هذا مستحيل يا ولدي، فلقد أصيب (نديم) برصاصة هنا، في الثانية صباحًا تقريبًا، أصابته بها زميلته (غادة)، عندما كانت تختبر مسدسها، الذي تحمل ترخيصًا بحمله، ولقد اتصلت بي فور حدوث الإصابة، فهرعتُ إلى هنا على الفور، وبلغت المكان في الثانية والنصف.

صاح (مجدي) في ثورة:

- سيثبت الطب الشرعي أنَّك كاذب.

ابتسم الطبيب في ثقة، وقال:

- أتتصور أن أمهر الأطباء الشرعيين، يمكنه تحديد لحظة الإصابة بمنتهى الدقة، بعد تدخل جراحي؟

أسقط في يد (مجدي)، وأدرك على الفور أنَّه قد خسر هذه النقطة، ولن يمكنه أبدًا الاعتماد عليها، لإدانة (نديم)، وإثبات أنَّه و(العقرب) وجهان لعملة واحدة، فالتفت إلى (غادة)، وقال في عصبية:

- أتعلمين أن هذا قد يعرضك لسحب ترخيص المسدس؟

هزت كتفيها في لامبالاة، وقالت:

- قد.. لا تنس أنَّني محامية، يمكنني الدفاع عن خطأ غير مقصود، ثم أنَّ (نديم) لن يتقدم بشكوى ضدي.. أليس كذلك؟

هتف (مجدي) في غيظ:

- أعلم أنَّه لن يفعل، ولكن هذا ليس الدليل الوحيد، الذي أملكه هذه المرة، فلقد التقط حارس الفيلا رقم سيارتك الحمراء.

رفعت حاجبيها، هاتفة على نحو تمثيلي:

- سيارتي الحمراء؟!.. هل عثرتم عليها؟.. لقد أبلغت بسرقتها عصر اليوم، ولم أتصور أن يعثر عليها رجال الشرطة بهذه السرعة.. إنَّكم عباقرة بحق.

قال محتدًّا:

- فليكن.. لقد اتخذتما احتياطكما بشأن السيارة، ولكن ماذا عنك؟.. لقد أكد الحارس قدرته على التعرف إليكِ.

هزت كتفيها قائلة:

- فليكن.. يمكنه أن يشاهدني في عرض عام، وسأعترف بكل شيء تفصيليًّا، لو أمكنه التعرف عليَّ.

سألها في توتر:

- ماذا تعنين؟

عادت تهز كتفيها مرة أخرى، وهي تقول:

- لا شيء، وإنَّما يبدو لي أن التعرف إلى امرأة ما أمر مستحيل تقريبًا، ما لم يكن ذلك الذي يحاول التعرف إليها وثيق الصلة بها، فأدوات الزينة والشعور المستعارة تفعل الكثير، و...

قاطعها وقد أدرك ما ترمي إليه:

- فليكن.

ثم استطرد في سخطٍ واضحٍ:

- يمكنني مع كل هذا إلقاء القبض عليكما، وإلقاؤكما في السجن لبضعة أيام على الأقل، ولكنني لن أفعل.. ليس لأنَّني أكره مضايقتكما، ولكن لأنَّ فرصة الإيقاع بكما تتضاءل كثيرًا، عند منعكما من العمل، وأنا مصر على أن ألقي القبض على (العقرب) يومًا ما، وهو يرتدي قناعه.

وبرزت أسنانه، وهو يستطرد في ثورة:

- ثم أنزع القناع عن وجهه بنفسي.

لم يكد يلقي كلمته هذه، حتى اندفع مغادرًا المكان، وأغلق الباب خلفه، في عنف، فابتسمت (غادة) في سخرية، مغمغمة:

- كم أشفق عليك يا عزيزي (مجدي).

أجابها (نديم) في هدوء:

- إنَّه يحاول تأدية واجبه بأمانة فحسب يا (غادة).

ابتسم الدكتور (قدري)، وقال:

- أنت أيضًا تؤدي واجبًا رائعًا للعدالة يا ولدي، وكم يسعدني أن منحتني ثقتك، وكشفت لي حقيقة شخصيتك المزدوجة، وأصارحك القول إنَّني لم أكن أتخيل وجود شخصية مثلها، في العالم كله.. أقصد شخصية حقيقية.

قال (نديم) في رصانة، وهو يقف على قدميه:

- لم أكن لأجد من هو أفضل منك، لمنحه ثقتي، ومشاركته سري، يا سيدي.. فأنت أصدق أصدقاء والدي، وطبيبي الخاص منذ مولدي.

ثم تطلَّع إلى عيني الطبيب، مستطردًا في عمق:

ولكنني أطالبك بحفظ السر، وإخفائه حتى عن والدي نفسه.

ابتسم الطبيب، قائلًا:

- بالطبع.

ثم أضاف بسرعة، وكأنَّه يرغب في الفرار من هذه النقطة:

- هل تؤلمك ساقك؟

أجابه (نديم):

- قليلًا.

ثم اعتدل، وتطلَّع إلى (غادة) مستطردًا:

ولكن هذا الألم لا يعني شيئًا، لو قارنته بما ينتظرنا يا سيدي، فتلك المواجهة العنيفة، التي حدثت منذ ساعات، بيننا وبين هؤلاء المجرمين، تعني أنَّنا نواجه عصابة رهيبة، مخيفة، لا تتورع عن القتل والفتك، في سبيل ما تربحه من مال، الذي يبلغ عددُ أصفارِه الستةَ أصفار على الأقل.

والتقط نفسًا عميقًا، قبل أن يستطرد:

- إنَّنا نواجه حربًا يا سيدي.. حربًا شعواء.

وكان على حق..



-١١-

ناقوس الحرب

لم يثر اجتماع مديري الشركة الأربعة، برئيس مجلس إدارتها، اهتمام أيٍّ من العاملين بها؛ إذ كانت هذه الاجتماعات تتم على نحو شبه دوري، منذ سنوات، ولكن الشيء الذي لم يعلمه أحد، هو أنَّ هذا الاجتماع بالذات لم يكن اجتماعًا تقليديًّا..

لقد كان أشبه بمجلس حرب..

نعم.. مجلس حرب يتزعمها (كامل شكري)، الذي كان أكثر الجميع ثورة في حجرة الاجتماعات، وهو يضرب سطح المنضدة الكبيرة بقبضته، هاتفًا:

- إنَّها مهزلة.. كيف يمكن لرجل واحد أن يهزمنا، ويثير رعبنا إلى هذا الحد؟

قال (رضوان)، في صوت ما زال يحمل ارتجافة كلماته:

- إنَّه ليس مجرد رجل واحد.. إنَّه شيطان.

لوَّح (كامل) بذراعه في حنق، وهو يهتف:

- لا يوجد شياطين على الأرض.. هذا الرجل يرهبكم ويرعبكم فحسب، بقناعه الأسود، الذي يضفي عليه الغموض، وزيه الأسود المخيف، ولكنه، وعلى الرغم من هذا، مجرد رجل واحد، يسهل علينا القضاء عليه.

ثم عاد يضرب سطح المنضدة بقبضته، مستطردًا:

- والآن ماذا ستفعلون؟

ران صمت رهيب على الحجرة لحظات، ثم قال الدكتور (جمال) في خفوت:

- سأرحل.

التفت إليه الآخرون في دهشة، وسأله (كامل) في حِدَّةٍ:

- ماذا قلت؟

ارتفع صوت (جمال)، وهو يقول في عصبية:

- قلت إنَّني سأرحل.. سأجمع متاعي، وأعرض المستشفى للبيع، ثم أستقيل من هنا، وأفر بأول طائرة إلى (سويسرا)، حيث أموالي.

لم يكتف بهذا القول، وإنَّما اندفع يستطرد في انفعال:

- لقد سئمت كل هذا.. لم أعد أحتمل.. ثم إنَّنا قد جمعنا ما يكفي من الأموال، في السنوات العشر الأخيرة، وحان الوقت لننعم بما جمعنا.

بدت عينا (كامل) مخيفتين، وهو يقول:

- ولكنك لست تملك الرحيل.

صرخ (جمال):

- لن يمكنكم منعني.. لا أحد يمكنه ذلك.. قلت لكم إنَّني سئمت كل هذا.. سئمته.

صاح به (كامل) في قسوة:

- ليس من حقِّك أن تفعل.. أنت بالذات لا يمكنك ترك موقعك، وإلا فسدت اللعبة كلها.. اسمعني جيدًا يا رجل.. لو أنَّ الخوف من ذلك المقنَّع هو ما يدفعك إلى الفرار، فسأمنحك دافعًا أقوى للبقاء.

ونهض من خلف مكتبه، واتجه بخطوة واسعة إلى حيث (جمال)، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول في غلظة:

- إنَّنا جميعًا في قالب واحد يا رجل.. كلنا نلعب لعبة واحدة، في مضمار واحد، وانسحاب أي فرد منا يعني إفساد السباق كله، ولهذا يجب أن يكون الانسحاب جماعيًا، أما مَن يفكر وحده في الفرار، فسيكون جزاؤه منَّا هو الموت.. هل تفهم؟

انتفض جسد (جمال) في رعبٍ، و(كامل) يكرِّر في وحشية مرعبة:

- الموت.

ثم اعتدل (كامل)، وترك (جمال) ينهار شاحبًا مرتجفًا على مقعده، واستدار متجاهلًا إياه، وهو يتابع:

- أما بشأن ذلك المقنَّع، فقد جمعنا ما يكفينا للقضاء عليه هذه المرة.

قال المهندس (أشرف) في تردد:

- هذا ما سمعناه أمس.

التفت إليه (كامل) بنظرة نارية، وهو يقول:

- اليوم نملك معلومات أكثر، وفرصة أكبر.

ثم أشار إلى (رضوان)، مستطردًا:

- أخبرهم ما سمعته من عقيد الشرطة أمس.

تنحنح (رضوان)، وقال:

- لقد قال العقيد (مجدي)، إنَّه لن يهدأ حتى يثبت أنَّ

(نديم) هو (العقرب).

قال (عماد) في حيرة:

- ومَن (نديم) هذا؟

ابتسم (كامل) ابتسامة شرسة، وقال:

- كنتُ أتوقع هذا السؤال.

ثم اعتدل، مستطردًا في حسم:

- لقد التقط حارس (رضوان) رقم سيارة الفتاة، التي أنقذت (العقرب)، ولقد تحريت بوسائلي الخاصة عن هذه السيارة، وعلمت أنَّها ملك لمحامية شابة، اسمها (غادة)، وأنَّها تعمل في مكتب محامٍ شابٍّ، يحمل اسم (نديم).

تطلَّع إليه الجميع، في مزيج من اللهفة والقلق، وهو يستطرد:

- (نديم فوزي)؟!

خيَّم الوجوم على رءوسهم لحظات، وهو يتبادلون نظرات حائرة، قبل أن يقول (عماد):

- لم أسمع اسمه من قبل.

ابتسم (كامل)، وهو يقول:

- اطمئن يا رجل.. لقد اتخذت الترتيبات اللازمة لتسمع اسمه قريبًا، ولتقرأه أيضًا.

وتحوَّلت ابتسامته إلى ضحكة عصبية، وهو يستطرد:

- في صفحة الوفيات.

وتفجَّرت ضحكته الوحشية تجلجل في المكان..

***

ابتسمت (غادة) في حنان، وهي تقدم قدح القهوة المعتاد لـ(نديم)، في حجرة مكتب هذا الأخير، وتقول:

- لم أتصوَّر أنَّك ستحضر إلى المكتب في موعدك، بعد كل ما حدث.

تناوَل قدح القهوة من يدها، وقال:

- المفروض ألا تطغى شخصية (العقرب) على (نديم فوزي)، ثم إنَّ ساقي لا تؤلمني كثيرًا، فلقد عالجها الدكتور (قدري) بعبقريته الفذة، وأصابعه الساحرة، حتى أنَّني أستعملها كما كانت سليمة.

قالت في تعاطف:

- هذا لأنَّها لم تمزق عضلات الساق، أو تخترق عظامه لحسن الحظ.

قال في هدوء، وهو يرتشف قدح القهوة:

- ولسوء حظِّ عصابة البترول.

اتخذت مجلسها على المقعد المقابل لمكتبه، وقالت:

- أمر هذه العصابة يدهشني بحق، فحديث (رضوان) منطقيًا للغاية، وليس من السهل أن يتم ضخ كمية من البترول، دون أن يشعر بها أحد، وعلى الرغم من هذا، فالأسلوب الذي يتعامل به الجميع، يؤكّد أنَّهم متورطون في جريمة كبرى.

تنهد (نديم)، وقال:

- هذا الأمر يحتاج لاستشارة خبير في شئون البترول.

ثم اعتدل مرتشفًا رشفة أخرى من قدحه، مستطردًا:

- أو لهجوم جديد من (العقرب).

ابتسمت لحماسه، وهي تسأله:

- مَن هذه المرة؟

تراجع وهو يهز كتفيه، مستطردًا:

- لم يستقر رأيي بعد.

لم يكد يتم كلمته، حتى دخل عم (أحمد) إلى الحجرة، وتنحنح لينبههما إلى وجوده، فالتفتا إليه في تساؤل، جعله يقول في سرعة:

- هناك عميلان، يطلبان مقابلتك، بشأن قضية ما، يا سيد (نديم).

أجابه (نديم) في هدوء:

- دعهما يدخلان يا عم (أحمد).

نهضت (غادة) من مقعدها، واتجهت إلى أريكة جانبية، وهي تقول:

- إنَّه دور (نديم) هذه المرة.

نقلت بصرها إلى الرجلين، وانتابها شعور بعدم الارتياح، وهما يتقدمان بملامح جامدة إلى (نديم)، الذي نهض لمصافحتهما، فسأله أحدهما في برود:

- أأنت السيد (نديم فوزي)؟

أجابه (نديم) في بساطة:

- نعم.. أنا هو، وهذه زميلتي (غادة).

قال الرجل في خشونة:

- رائع.. هذا يمنحنا فرصة إنهاء العمليتين بضربة واحدة.

وبسرعة لم يتوقعها (نديم)، انتزع الرجلان من جيبي سترتيهما مسدسين ضخمين، صوَّبا فوهتيهما إلى صدره، و..

ودوَّى صوت رصاصتين في حجرة مكتب (نديم)..

***

-١٢-

القانون

سعل الرائد (حسن)، على الرغم منه، وهو يدلف إلى حجرة مكتب العقيد (مجدي)، التي انعقدت في سمائها سحب الدخان، وامتلأت منفضة السجائر فيها بعشرات من أعقاب لفافات التبغ، التي يدخنها (مجدي) في شراهة، وهو منهمك في دراسة ملف ضخم أمامه، وألقى الرائد (حسن) نظرة مشفقة على (مجدي)، قبل أن يسأله:

- معذرة يا سيدي.. هل تحتاج إلى مساعدة؟

رفع (مجدي) عينيه إليه في بطء، وانتزع من بين شفتيه بقايا سيجارة، كادت نيرانها تلسعه، وأطفأها في المنفضة في عنف، وهو يقول:

- المساعدة الوحيدة، التي يمكنك تقديمها لي الآن، هي جمع مزيد من المعلومات عن (رضوان)، وشركة البترول، التي يعمل بها.

ابتسم (حسن)، وهو يجلس أمام (مجدي)، وقال:

- ولماذا تُراجِع ملف شركة البترول، بكل هذا الاهتمام يا سيدي؟

أزاح (مجدي) الملف من أمامه، وأشعل سيجارة أخرى، وهو يقول:

- إنَّني أعرف طبيعة (نديم)، أكثر مما يعرفها أي شخص آخر، في وزارة الداخلية كلها، وما دام قد هاجم (رضوان)، فهناك خطأ ما حتمًا ارتكبه (رضوان) هذا، أو يحدث داخل الشركة، و(العقرب) يسعى خلفه.

غمغم (حسن):

- عجبًا!

نفث (مجدي) دخان سيجارته، وهو يسأله في عصبية:

- وما العجب في هذا؟

التفت إليه (حسن)، وتطلّع إليه لحظة في صمت، ثم قال:

- الواقع أن مشاعرك نحو (العقرب) تدهشني يا سيدي، فأنت تبغضه، كما لم تبغض شخصًا من قبل، ولكنك - في الوقت ذاته - تثق تمامًا في أنَّه رجل شريف، لا يهاجم إلا المجرمين، فكيف يتفق هذا وذاك؟

ساد صمت تام في الحجرة، بعد أن ألقى (حسن) سؤاله، وانعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وبرزت شفته السفلى إلى الأمام، وهو يفكر في الجواب، ثم لم يلبث أن سحب نفسًا عميقًا من سيجارته، ورفع عينيه إلى (حسن)، وقال في حزمٍ:

- إنَّه يخالف القانون.

هتف (حسن):

- فقط؟!

أجابه (مجدي) في صرامة:

- هذا يكفي.. إنَّنا رجال قانون، ومهمتنا هي الحفاظ عليه،

ومنع أي مخلوق من تجاوزه، ونحن نتقاضى أجرنا مقابل هذا.

قال (حسن):

- هذا صحيح، ولكن لو أنَّ (العقرب) شخص آخر، وليس (نديم فوزي)، فهل كنت ستقاتله بنفس الشراسة والعنف؟

أصاب هذا السؤال (مجدي) في الصميم..

هل يقاتل (العقرب) لأنَّه يخالف القانون حتمًا، أم لأنَّه الشخصية، التي يختفي خلفها (نديم فوزي)، ليحقق العدالة بأسلوبه الخاص، الذي قد لا يتفق - في كثير من الأحيان - مع القانون المكتوب؟

أنبأه عقله بالجواب الصحيح على الفور، إلا أنَّ عناده رفض الاعتراف به، فاعتدل في صرامة، وهو يجيب (حسن):

- بالطبع.

وعلى الرغم من صرامته، كانت كلمته تفتقر إلى رنة

خاصة..

رنة الصدق..

***

تحرَّك (نديم) حركة غريزية سريعة، عندما دوَّى صوت الرصاصتين، إلا أنَّه لم يلبث أن تجمَّد في مقعده، وهو يتطلع في دهشة إلى الرجلين، وقد تراجعا في ذعرٍ وألمٍ، وكل منهما يمسك يده اليمنى، بعد أن فقد مسدسه، في حين أمسكت (غادة) مسدسها، الذي تصاعد الأدخنة من فوهته، وهي تقول في سخرية:

- تبًّا لكما أيُّها الأوغاد.. ألا تحترمون وجود امرأة جميلة؟

تطلَّع الرجلان إلى مسدسها المصوَّب إليهما، في دهشة وذعر، في حين عاد (نديم) يعتدل في مقعده، وهو يسألها في هدوءٍ عجيبٍ:

- كيف توقعتِ هذا؟

هزَّت كتفيها، وقالت:

- الغريزة الأنثوية يا عزيزي، التي ترفض أنت الاعتراف بها، على الرغم من أنَّها قد صدقت أمس، عندما أفلتنا دون قتال، واليوم من هذين الوغدين.

تطلَّع إليها لحظة في صمت، دون تعليق واحد، ثم أدار عينيه إلى الرجلين، في نفس اللحظة، التي اقتحم فيها عم (أحمد) الحجرة، هاتفًا في ذعر:

- ماذا يحدث؟

لم يكن يحتاج إلى جواب، مع ذلك المسدس في يد (غادة)، فتراجع قائلًا في توتر:

- أأنتما بخير؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- نعم يا عم (أحمد).. أنا و(غادة) بخير.. اتركنا وحدنا.

غادر (أحمد) الحجرة في سرعة، وأغلق بابها خلفه، فعاد (نديم) يرفع عينيه إلى الرجلين، وهو يسألهما في لهجة صارمة مخيفة:

- مَن أرسلكما؟

تبادل الرجلان نظرة متوترة، ثم قال أحدهما في خشونة:

- هل تتوقع الحصول على جواب؟

أجابه (نديم) في برود:

- بالطبع.

ثم سأل (غادة)، دون أن يلتفت إليها:

- هل تحملين كاتم الصوت يا عزيزتي؟

التقطت (غادة) من حقيبتها أنبوبًا معدنيًا قصيرًا، أدارته عند فوهة مسدسها، وهي تقول في لهجة أقرب إلى الجذل:

- ها هو ذا مستعد للعمل.

قال أحد الرجلين، في لهجة لم تنجح في إخفاء توتره:

- خدعة سخيفة.. لن يمكنكما قتلنا.

جذبت (غادة) إبرة مسدسها، وهي تقول ساخرة:

- هل تراهن؟

وبنفس الصرامة المخيفة، سأله (نديم):

- من أرسلكما؟

توترت نظرات الرجلين، وازدرد أحدهما لعابه في صعوبة، وقال:

- أعلم أنَّكما لن تقتلانا.

قالت (غادة) في لهجة توحي بالضجر:

- إنَّك تضيع وقتك يا (نديم).. دعني أتَّبع معهما الأسلوب نفسه، الذي اتبعته مع الرجال الثلاثة، في القضية السابقة، سأطلق النار على رأس أحدهما، فيعترف الآخر على الفور.

كانت مخادعة في كل ما تقول، إلا أنَّ عبارتها جمَّدت الدماء في عروق الرجلين، خاصة عندما رفعت مسدسها إلى رأسيهما، مستطردة:

- هيا.. من منكما يفضل الموت، مع حماية زعيمه؟

هتف أحدهما في رعب:

- لا تقتليني يا سيدتي.. أرجوك.. سأخبرك بكل ما نعرف.. لقد أرسلنا (وجيه).. (وجيه شعبان).. وأقسم أنَّنا لا نعلم شيئًا عن سبب قتلكما، أو حتى مَن يرغب في هذا، فـ(وجيه) يتلقى الطلب، ويختار من ينفذه منا.. أقسم لكما أنَّ هذا كل شيء.

تبادل (نديم) و(غادة) نظرة، تحمل الكثير من المعاني، ثم سأل (نديم) الرجل:

- وأين نجد (وجيه) هذا؟

أجابه الرجل:

- لستُ أدري.. أقسم إنَّني لستُ كاذبًا، فنحن نتلقى الاسم والعنوان هاتفيًّا، ثم نحصل على نقودها بالبريد، بعد التنفيذ.

تبادل (نديم) و(غادة) نظرة أخرى، ثم قال (نديم):

- حسنًا.. لن نقتلكما.

تنهَّد الرجلان في ارتياح، إلا أنَّ الرعب لم يلبث أن عاد إلى قلبيهما، عندما أضاف في صرامة، وهو يرفع سماعة الهاتف:

- سنكتفي بتسليمكما للعدالة.

سألته (غادة):

- هل سنتصل بالشرطة حقًّا؟

أجابها في حزمٍ:

- بالطبع.. هكذا ينبغي أن يفعل (نديم فوزي)، فهو ليس (العقرب).. أليس كذلك؟

ابتسمت قائلة:

- بلى.. إنَّه ليس (العقرب).

وعادت تصوب مسدسها إلى الرجلين في هدوء..

***

نفث العقيد (مجدي) دخان سيجارته في عصبية، وهو يتابع ببصره سيارة الشرطة، التي ابتعدت حاملة المجرمين، ثم التفت إلى (غادة)، وقال في حِدَّةٍ:

- يبدو أنَّك تسرفين كثيرًا في استخدام مسدسك هذه الأيام.

أجابته ساخرة:

- هل كنت تفضل أن أستخدمه لطلاء شفتي؟

أجابها محتدًا:

- نعم، فربما تحسنين استخدامه حينذاك.

ثم أشار إليها، مستطردًا في غضب:

- أما بالنسبة لي، فسأسعى لرفض تجديد ترخيص حمل السلاح، الذي تملكينه، في المرة القادمة.

هزَّت كتفيها في لامبالاة، وقالت:

- يمكنك أن تحاول على الأقل.

كان يشعر بالغيظ، كلما تحدث إليها؛ لذا فقد تحوَّل إلى (نديم)، وسأله في خشونة:

- هل لك أن تخبرني، لماذا حاول هذان الوغدان قتلك؟

أجابه (نديم) في برود:

- لا يمكنني أن أخبرك.

سأله في غلظة:

- لماذا؟

أجاب (نديم):

- لأنَّني كنتُ أنتظر الجواب منك.

هتف (مجدي) مستنكرًا:

- مني أنا؟!

أجابه (نديم):

- بالطبع، فأنت رجل الشرطة، وأنا مجرد مدني، تعرَّض لمحاولة قتل متعمدة في مكتبه، من شخصين استقبلهما كعميلين عاديين، والمفروض أن يقدح الشرطي زناد فكره، ويجمع التحريات، ويستجوب الجميع، ثم (يطرقع) إصبعيه، ويلقي حلَّ كل الغموض على مسامع الجميع.

استمع إليه (مجدي) مشدوهًا، ثم هتف:

- أين رأيت رجال الشرطة يفعلون هذا؟

أجابه (نديم) بجدية بالغة:

- على شاشة السينما.

أطلقت (غادة) ضحكة عالية وفي حين عقد (مجدي) حاجبيه في غضب، وكرّر عبارته الشهيرة:

- ستسقط في يدى يومًا ما يا (نديم)، وسأثبت أنَّك..

أكملت (غادة) في سرعة:

- و(العقرب) شخصيتان لرجل واحد.. أليس هذا ما أردت قوله يا عزيزي (مجدي)؟

احتقن وجهه، وهو يرمقها بنظرة نارية، فأضافت ساخرة:

- معذرة، ولكن حتى الأغبياء يمكنهم حفظ العبارات، التي

تتكرر على نحو مثير للملل.

قال (مجدي) في غضبٍ:

- ولكنهم يبكون عندما تتحول إلى حقائق.

وكعادته أيضًا، اندفع مبتعدًا في سرعة، فقالت (غادة):

- كم يبدو لي صديقنا (مجدي) مكررًا ومملًا.

قال (نديم)، وهو يقودها إلى داخل البناية:

- دعكِ من (مجدي) الآن، وأخبريني.. ما الذي يوحيه إليكِ ما حدث؟

أجابته، وهي تصعد إلى جواره، في درجات السلم:

- إنَّهم يحاولون قتلنا.

هزَّ رأسه نفيًا، وقال:

- هناك ما هو أخطر.. لقد أدرك أحدهم، بوسيلة أو بأخرى، أن (نديم) و(العقرب) هما شخص واحد.

توقفت هاتفة:

- يا إلهي!.. هذا صحيح.. كيف لم أنتبه إليه؟

قال في هدوء:

- ربما احترقت دائرة (ترانزستور)، في غريزتك الأنثوية.

هتفت:

- هل تمزح، أم أنَّ هذا مجرد هلوسة سمعية؟

تجاهل تعليقها، وقال:

- المهم أنَّ هذا يعني أن الحرب لم تعد موجهة إلى (العقرب) وحده، الذي يستطيع أن يختفي وقتما يحلو له.. بل لقد أصبح القتال على الجبهتين، وهذا أمر بالغ الخطورة، خاصة عندما نواجه عصابة عنيفة شرسة كهذه.

سألته في قلق:

- وماذا علينا أن نفعل الآن؟

تطلَّع طويلًا إلى عينيها، ثم أجاب في حسم:

- سنتبع خطة (نابليون) يا عزيزتي، وسنستخدم أفضل وسيلة للدفاع عن أنفسنا.

وبدا صوته أشبه بكتلة من الصرامة والحزم، وهو يستطرد:

- الهجوم.

***

-١٣-

الخطة

فركت زوجة الدكتور (جمال) كفيها في عصبية، وهي تراقب زوجها، الذي راح يعد حقيبته في توتر، وحاولت أن تخفي نبرة الخوف في صوتها، وهي تسأله:

- أمن الضروري أن تسافر؟

أجابها، وهو يحشر ملفًا أخيرًا داخل الحقيبة، ثم يغلقها في إحكام:

- نعم.. لقد بدأت الغيوم تحيط بالأمر، وأشعر أنَّ كل شيء سينكشف هذه المرة، والأفضل أن أرحل، قبل أن نخسر كل شيء.

قالت في خوف، وهي تنظر إلى ساعة يدها، التي أشارت إلى الثانية:

- ولكنها ليست أول مرة.. هل نسيت كيف تعرضتم لفحصٍ كاملٍ، من كل أجهزة الدولة، دون أن يكشف أحدها لعبتكم؟.. إنَّكم ستتجاوزون الأزمة هذه المرة أيضًا.

هزَّ رأسه في عنفٍ، وقال:

- لا.. الأمر يختلف اختلافًا ضخمًا، ففي المرة السابقة كنا نواجه القانون، الذي يحتِّم وجود أدلة مادية، لإلقاء القبض على أي متهم، أما في هذه المرة، فنحن نواجه عدوًا مجهولًا، لا يبالي بالنظم والقوانين، ويسعى لتحطيمها بأي ثمن.

قالت في ضراعة:

- يمكنك أن تبقى و...

قاطعها في عصبية:

- لماذا؟.. ما المبرر للبقاء؟.. لقد جمعنا ثروة طائلة، تبلغ عشرة ملايين دولار، في بنوك (سويسرا)، بالإضافة إلى المستشفى الخاص، الذي يمكنك بيعه بأربعة ملايين على الأقل، فلماذا أبقى، حتى أقع في قبضة الشرطة، وأخسر كل

شيء؟

حمل حقيبته، واندفع نحو الباب، وهو يستطرد:

- ولقد كنت أستعدُّ لمثل هذا اليوم.. كنت أعلم أنَّه سيأتي حتمًا، مهما طال الزمن.. إنَّني أحمل جواز سفر آخر، لا تحتاج المهنة المدونة به إلى موافقة جهة عمل، للسفر خارج البلاد، وسأسافر بعد ساعتين إلى (سويسرا)، وستلحقين بي، بعد بيع المستشفى، وهناك سنحيا حياة الملوك، دون خوفٍ أو قلقٍ.

تبعته في خطوات أقرب إلى العدو، وهي تقول:

- ولكن ماذا عن الآخرين؟.. فرارك قد يكشف أمرهم.

لوَّح بذراعه كلها، صائحًا:

- فليذهبوا إلى الجحيم.

توقَّفت عند باب الفيلا، وهو يسرع إلى سيارته، قائلًا:

- إلى اللقاء.. سأنتظرك في (جنيف)، في أسرع وقتٍ ممكنٍ.

لوَّحت بكفها، وغمغمت وهو ينطلق بالسيارة:

- سأحاول.

ثم انحدرت من عينيها الدموع..

أما (جمال)، فلم يكن في قلبه مكان للعواطف، في هذه اللحظة، بل كان ينطلق بسيارته في عصبية، وهو يحدِّث نفسه، قائلًا:

- نعم.. فليذهب الجميع إلى الجحيم.. حتى زوجتي السخيفة هذه، لو استطاع الشياطين احتمالها.. لقد سئمت كل شيء، وسأكون الرابح الوحيد، عندما تنقلب المائدة عليهم.. فليرفضوا الفرار، لو شاء لهم أن يفعلوا، أما أنا فسأرحل، وأربح، و...

ارتجف جسده في رعب، عندما ارتفع من المقعد الخلفي لسيارته صوت صارم، يقول:

- أأنت واثق؟

رفع (جمال) عينيه إلى مرآة السيارة في رعب، ثم ضغطت قدمه كامِح السيارة في عنف، ولم تكد السيارة تتوقف، حتى فتح بابها، وحاول أن يعدوا هاربًا منها، وهو يصرخ:

- لا.. لا..

ولكن قبضة القناع الأسود، الذي رآه في مرآة سيارته، أمسكه من عنقه بقبضة حديدية، وهو يقول:

- لم يحن وقت الفرار بعد.

أعاده (العقرب) إلى السيارة قسرًا، وأجلسه على مقعد القيادة وهو يستطرد:

- هيا يا رجل.. سنتنزه معًا بعض الوقت.. انطلق بالسيارة.

تساقطت الدموع من عيني (جمال)، وهو ينطلق بالسيارة، قائلًا:

- الرحمة أيُّها (العقرب).. إنَّني لم أفعل شيئًا.. لم تكن فكرتي أبدًا.. لقد أقنعوني بها و...

لم يستطع إكمال عبارته، وإنَّما أخذ ينتحب فجأة كالأطفال، فقال (العقرب) في صرامة:

- جفِّف دموعك يا رجل، وقُدِ السيارة كما ينبغي.

جفَّف (جمال) دموعه، ولكنه ظل ينتحب، وهو يقول:

- أرجوك أيُّها (العقرب).. هناك طائرة ستنطلق إلى (سويسرا) بعد ساعتين، وأنا مستعد لدفع ما تطلبه، حتى تتركني ألحق بها.

سأله (العقرب) في هدوء:

- كم يمكنك أن تدفع؟

أجابه في لهفة:

- مائة ألف جنيه.

أجابه (العقرب):

- يا له من رقم تافه!

هتف (جمال):

- فليكن.. سأمنحك عشرة أضعاف هذا المبلغ.. مليون جنيه دفعة واحدة.. بل مليون دولار.. ما رأيك بمليون دولار؟

سأله (العقرب) في اهتمام:

- وماذا لو قلت إنَّني أطلب ما هو أكثر؟

هتف (جمال) في ضراعة:

- سأمنحك أي شيء تطلبه.. سأمنحك مليونين.. بل ثلاثة.. بل...

قاطعه (العقرب) في غضب:

- عجبًا!.. هل تُرِيح القذارة كل هذه الملايين؟

عادت الدموع تسيل من عيني (جمال)، وهو يقول:

- أرجوك..

قال (العقرب) في صرامة:

- لو أنَّك تسأل عن الثمن، فهناك ثمن واحد، يمكنني أن أقبله.

سأله (جمال) في لهفة:

- ما هو؟

أجاب (العقرب):

- الوسيلة.

شحب وجه (جمال)، وارتجف صوته، وهو يغمغم:

- أية وسيلة؟

قال (العقرب)، في لهجة جمدت لها دماء (جمال):

- الوسيلة التي تسرقون بها البترول.

انفغر فاه (جمال)، وهو يحدِّق في مرآة السيارة، التي تنقل إليه صورة (العقرب)، من المقعد الخلفي، وظلَّ صامتًا برهة، قبل أن ترتجف شفتاه، ويتراقص قلبه بين ضلوعه هلعًا، وهو يقول:

- التي نسرق بها البترول؟!

قال (العقرب) في لهجة مخيفة:

- إنَّني أكره إضاعة الوقت.

ازدرد (جمال) لعابه في صعوبة، وبذل جهدًا ليقول:

- نحن لا نسرقه بالمعنى المفهوم، وإنَّما...

توقف عن الاستطراد، وكأنَّما يعجز عن كشف السر، فقال (العقرب) في صرامة:

- قلت إنَّني أكره إضاعة الوقت.

أجاب (جمال) في سرعة:

- حسنًا.. حسنًا.. الواقع أنَّني المسئول تقريبًا عن هذا، ولذلك كنت أحصل دائمًا على نسبة أعلى من الآخرين.. صحيح أنَّها لا تبلغ نسبة (كامل) بك، ولكنها..

قاطعه صرير إطارات سيارة مباغت، قبل أن تنحرف سيارة ضخمة نحو سيارته، فصرخ:

- لا.. لا تقتلوني.

ومع صرخته مال بالسيارة بحركة غريزية، فصاح به (العقرب):

- احترس.

ولكن السيارة اصطدمت بالإفريز، وقفزت فوقه على نحو خطر، ثم ارتطم جانبها، بجدار ضخم، ودفع الاصطدام رأس

(جمال) إلى الأمام، فاصطدم بزجاج السيارة الأمامي في عنف، ثم سقط على مقعده فاقدًا الوعي..

وبسرعة تحرَّك (العقرب)..

كان يعلم أنَّ هذا التصادم مقصود، وأن قاصديه سيهرعون إلى السيارة، للتأكد من نتائج عملهم..

وسيجدونه داخلها..

بلا سلاح..

وكان من المحتَّم أن يقاتل..

مهما كان الثمن..

وبسرعة نزع (نديم) قناعه وقفازيه، ودسهما في جيبي سرواله، وانتظر حتى اقترب وقع الأقدام من السيارة، ثم دفع بابها بحركة مباغتة، وقفز خارجها..

ورأى (نديم) أمامه رجلًا أعزل، تراجع في دهشة، عندما

وقع بصره عليه، فأسرع يهاجمه هاتفًا:

- من الواضح أنَّك لم تتوقع وجودي.

ثم هوى على فكه بلكمة عنيفة، مستطردًا:

- وهنا تكمن المفاجأة.

تلقى الرجل لكمة لم يكن يتوقعها، فدار حول نفسه دورة كاملة، ثم سقط على وجهه فاقدًا الوعي..

وتوقف (نديم)، هاتفًا:

- يا إلهي!.. لقد انتهت المعركة بأسرع مما كنت أتوقع.

ولكنه فوجئ بصوت غاضب يقول:

- من قال هذا؟

رفع عينيه بسرعة إلى مصدر الصوت، ورأى ذلك الرجل الآخر، الذي غادر السيارة، ووقف يصوِّب إليه مسدسه..

ويضغط الزناد..

***

-١٤-

سقوط

توقفت سيارة (كامل شكري) الفارهة، أمام فيلا الدكتور (جمال)، وهبط سائقها بسرعة، وانحنى انحناءة كبيرة، وهو يفتح بابها الخلفي لـ(كامل)، الذي غادرها في وقار، وعبر بوابة الفيلا في خطوات هادئة بطيئة، حيث استقبلته زوجة (جمال)، وهي تفرك كفيها بنفس الحركة العصبية، وسألته في لهفة:

- هل لحقتم به؟

ابتسم (كامل)، وهو يجيبها في هدوء:

- اطمئني يا سيدتي.. لقد أرسلت بعض الرجال خلفه، والبعض الآخر في المطار، لمنعه من السفر.. لقد أحسنتِ صنعًا بالاتصال بي، قبل أن ينجح ذلك الغبي في الفرار.

قالت في توتر:

- كان سيفسد كل شيء.. فراره يعني أن تتوقف العملية كلها، أو ينكشف الأمر.

أومأ (كامل) برأسه إيجابًا، وقال:

- لست أظن هذا.

ثم انتقى أفضل مقاعد الردهة الوثيرة، وجلس فوقه، ووضع إحدى ساقين فوق الأخرى، واستطرد بابتسامة لزجة:

- عندما وضعت خطتي العبقرية هذه، لم أغفل هذا الاحتمال يا سيدتي.. احتمال توقف أحد أفراد الفريق عن العمل، لسبب أو لآخر، ولقد وضعت في الخطة احتمالات بديلة.

سألته في فضول:

- مثل ماذا؟

أجابها في زهو:

- أفضل الحفاظ على هذا السر وحدي.

ثم لوح بكفه، واستطرد:

- وخاصة عندما يكون الطرف الراغب في معرفته سيدة؛ فالسيدات لا يمكنهن حفظ الأسرار.. أليس كذلك؟.. السر بالنسبة لهن إما أصغر مما ينبغي، فلا يستحق الحفاظ عليه، أو أكبر مما ينبغي فلا يستطعن كتمانه.

قالها وقهقه ضاحكًا، وكأنَّما راقت له دعابته، فمطَّت السيدة شفتيها في امتعاض، وقالت في غيظ:

- هل تملك القدرة على الضحك، في مثل هذه الظروف؟

هزَّ كتفيه، قائلًا:

- ولم لا؟.. ما زلت أملك كل الخيوط يا سيدتي، وسأنتظر عودة رجالي بزوجك، لألقنه الدرس الذي يحتاج إليه.

وعلى الرغم من ابتسامته، شعرت زوجة (جمال) بالخوف، وهو يستطرد:

- وسيكون درسًا قاسيًا.. قاسيًا جدًّا.

***

لم يكد (نديم) يلمح ذلك المسدس، المصوَّب إليه، حتى مال جانبًا في سرعة، ثم انحنى متفاديًا رصاصة لم تنطلق، واندفع نحو الرجل.. والواقع أنَّ الرجل قد أصيب بالذهول..

لقد صوَّب مسدسه إلى العشرات، ورآهم جميعًا يرتجفون أمام فوهته القاتلة، ويتلعثمون، ويبكون، وينهارون، ولكنه لم يشاهد أبدًا مَن ينقض عليه بهذه السرعة، وكأنَّما يسعده تلقي رصاصة في صدره..

ولقد أفاد هذا الذهول (نديم) كثيرًا..

فالرجل لم يضغط الزناد..

تجمَّدت سبابته، في طريق اعتصار الزناد، فلم تنطلق الرصاصة، حتى بلغه (نديم)، واستجمع قوته كلها في قبضته، وهوى بها على فكِّ الرجل، في لكمة كالقنبلة، ارتجَّ لها كيان الرجل كله، قبل أن يرتطم ظهره بالسيارة، ثم يسقط

على وجهه فاقدًا الوعي..

ولكن الأمر لم ينته عند هذه النقطة..

لقد سقط الرجل أرضًا، في نفس اللحظة التي توقفت فيها سيارة من سيارات الشرطة إلى جوار (نديم)، وقفز رجالها يصوبون أسلحتهم إليه، فرفع ذراعيه في هدوء، وهو يقول:

- مهلًا.. لقد هاجمني هذان الرجلان، وكنت أدافع عن نفسي.

أجابه الضابط في صرامة:

- ستقول هذا في أوراق التحقيق، أما الآن، فأنا ألقي القبض عليك.

وبسرعة أحاطت الأغلال بمعصمي (نديم)..

(العقرب)..

***

هتف (مجدي) في وجه الرائد (حسن) بعصبية:

- إنَّها المرة الثانية، التي توقظني فيها من نومي، بعد الثانية والنصف صباحًا يا (حسن).

قال (حسن) في لهفة:

- الأمر واحد أيضًا في الحالتين يا سيدي.

انتفض (مجدي) وهتف:

- (العقرب)؟!

أجابه (حسن):

- بل (نديم).. (نديم فوزي).

واستدرك في سرعة:

- لو أنَّه هو (العقرب).

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يسأله:

- ماذا عن (نديم)؟.. هل أصابه مكروه؟

مال (حسن) نحوه، وقال:

- لقد وقع في قبضتنا.

أمسك (مجدي) كتفيه، وهو يسأله في انفعال:

- ماذا تعني؟

أجابه (حسن) مبتسمًا:

- لقد ألقت سيارة شرطة النجدة القبض على شاب، يرتدي الملابس السوداء، مع رجلين يحمل كل منهما مسدسًا، وهذا الشاب هو (نديم).

برقت عينا (مجدي)، وهتف:

- ملابس سوداء.

ثم صاح بـ(حسن)، وهو يسرع إلى حجرة نومه:

- اتصل بهم هاتفيًا يا (حسن)، ومرهم ألَّا يحاولوا تفتيشه، وليحتفظوا به في حجرة الضابط النوبتجي، حتى أصل إليهم.

وهتف في سعادة ظافرة:

- أخيرًا يا (نديم)، أخيرًا وقعت في قبضتي.

وأطلق ضحكة مزهوة..

***

كان لقاءً عجيبًا بحق..

لقاء (مجدي) و(نديم)..

اقتحم (مجدي) حجرة الضابط النوبتجي في لهفة، ثم تجمّد في مكانه، وهو يتطلّع إلى (نديم)، وكأنّما صدّق الآن فقد أنّهم قد أوقعوا به..

وطوال دقيقة كاملة، لم ينطق أيُّهما بكلمة، أو ينبس بحرف واحد..

ثم كان (نديم) صاحب أول كلمة، مزقَّت حبل الصمت، وهو يقول:

- كيف حالك يا (مجدي)؟

لم يجبه (مجدي)، بل ظلَّ يتطلَّع إلى زيه الأسود لحظات، قبل أن يقول، في كلمات اختلطت بتنهيدة ارتياح:

- أخيرًا يا (نديم).

قال (نديم) في هدوء:

- أخيرًا ماذا يا عزيزي (مجدي)؟

ابتسم (مجدي) في سعادة، وقال:

- أخيرًا وقعت بزيك الأسود.

قال (نديم) في برود:

- هل يمنع القانون ارتداء الثياب السوداء؟

لم يغضب (مجدي) هذه المرة..

ملأت نشوة الظفر عروقه، فلم تترك فيها مجالًا لأية مشاعر أخرى.

وفي ارتياحٍ، أجابه (مجدي):

- لا يا (نديم).. القانون لا يمنع هذا، ولكنه يضعك في خانة المتهم الأول، لو عثرنا معك على باقي زي (العقرب).

والتفت إلى الضابط النوبتجي و(حسن)، قائلًا:

- اقتربا.. أحتاج لشاهدين.

اقترب الاثنان منه، فدسَّ يده في جيب سروال (نديم) الأيمن، وهو يقول:

- راقبا ما أخرجه من جيبه.

أخرج القفازين السوداوين، قائلًا:

- هل رأيتما؟

قال (نديم) بنفس البرود:

- أظن القانون لا يمنع ارتداء القفازات السوداء أيضًا.

تطلّع (مجدي) إلى عينيه مباشرة، وقال:

- وماذا عن الأقنعة السوداء؟

ابتسم مستطردًا:

- صدقني يا (نديم)، عندما أُخرج قناع (العقرب) أو بطاقته من جيبك، في حضور شاهدين، سيعني هذا أن لعبة الشخصية المزدوجة هذه قد انتهت.

لم ينبس (نديم) ببنت شفة، وإنَّما أطلَّ القلق من عينيه

واضحًا، في حين مدَّ (مجدي) يده نحو جيب سروال الآخر، وهو يقول:

- الآن يا (نديم).. الآن تحين النهاية.

وكان على حق..

عندما يخرج القناع، تكون النهاية قد حانت..

نهاية (العقرب)..

***

-١٥-

المواجهة

لم يكد رنين الهاتف يرتفع، في ردهة فيلا الدكتور (جمال)، حتى قفز (كامل شكري) إلى الهاتف، وانتزع سماعته، قائلًا في انفعال واضح:

- مَن المتحدث؟

كان من الواضح أنَّه يستمع إلى من كان ينتظره، فقد اعتدل جسده، وأمسكت أصابعه السماعة في قوة، وهو يقول:

- نعم.. هو أنا.. لماذا لم تصل حتى الآن يا (وجيه)؟

انعقد حاجباه في قوة، نبض لها قلب زوجة (جمال) بسرعة كبيرة، وكادت أصابعه تعتصر سماعة الهاتف، وهو يصرخ:

- الشرطة؟!.. وكيف تدخلت الشرطة؟

تقافز الغضب في كل خلجة من خلجاته، وهو يواصل:

- (العقرب)؟!.. مرة أخرى (العقرب).. من أين يأتي ذلك الشيطان؟.. ألم توقفه إصابة ساقه بعد؟

استمع إلى محدثه بضع لحظات في صمت، فاقتربت منه زوجة (جمال)، في قلق وفضول تسأله:

- ماذا حدث يا (كامل) بك؟!.. ماذا حدث؟

تجاهلها تمامًا، وهو يقول لـ(وجيه):

- لا بأس.. استمر مع رجالك في مراقبة قسم الشرطة، حتى يغادره (جمال) و(نديم) هذا، ونفِّذ أوامري بشأنهما، في الوقت المناسب.

أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، فعادت زوجة (جمال) تسأله في قلق:

- ماذا حدث؟

أشعل سيجاره، ونفث دخانه في عصبية، قبل أن يجيبها:

- لقد اختبأ (العقرب) في سيارة زوجك؟

اتسعت عيناها في ذعر، وهي تقول:

- عقرب؟!.. أهو عقرب سام؟.. هل لدغ (جمال)؟

انعقد حاجباه في ضيق، وتذكر أنَّها لا تعلم شيئًا عن (العقرب)، فمطَّ شفتيه في ازدراء، وأجابها وهو يشيح بوجهه:

- إنَّه مجرد مصطلح، نطلقه على شخص يحاول عرقلة عملنا.

هتفت في هلع:

- شخص؟!.. أهو أحد رجال الشرطة؟

أجابها في ضيق وضجر:

- لا.. إنَّه ليس كذلك.

زفرت في ارتياح، وقالت:

- يمكننا أن نرشوه إذن.

رمقها بنظرة ضيق، فارتبكت مستطردة:

- أو نقتله.

مطَّ شفتيه مرة أخرى، وقال:

- دعكِ من هذا يا سيدتي.. كل ما في الأمر أنَّ زوجك قد تعرَّض لمخالفة بسيطة، وسيعيده رجالنا إلى هنا، بعد أن ينتهي من سدادها.

ثم شرد ببصره، مستطردًا:

- وبعدها سيقومون بعمل آخر، يخلصنا من هذا الـ..

صمت لحظة، ثم أضاف بكل المقت والكراهية في أعماقه:

- هذا (العقرب).

***

لم يكن هناك، في الأرض كلها، من هو أكثر سعادة من العقيد (مجدي)، في هذه اللحظة بالذات..

لقد أوقع بـ(أدهم)، وها هو ذا يحتجزه داخل حجرة الضابط النوبتجي، في أحد أقسام الشرطة، ويده تمتد لتنتزع قناع (العقرب) وبطاقته من جيب الزي الأسود، الذي يرتديه (نديم)، و..

فجأة حدث الاقتحام..

اقتحمت (غادة) حجرة الضابط النوبتجي في عنف، وخلفها حارس الحجرة، يحاول منعها في خوفٍ وتوترٍ..

وتوقفت يد (مجدي)، قبل أن تلمس جيب (نديم)، واعتدل في حركة سريعة، في حين التفت الرائد (حسن) إلى (غادة) في دهشة، وهبّ الضابط النوبتجي من مقعده، هاتفًا في غضب:

- ما هذا؟.. ما الذي يحدث هنا؟

أجابته (غادة) في غضب مماثل:

- أنا (غادة)، المحامي الخاص للأستاذ (نديم فوزي)، وأحبُّ أن أحذركم من أنَّكم ترتكبون أكبر خطأ قانوني في حياتكم أيُّها السادة.

عقد (مجدي) حاجبيه في غضب، في حين هتف الضابط النوبتجي:

- أي خطأ هذا؟.. إنَّنا نقوم بتفتيش رجل، تم إلقاء القبض عليه، أثناء شجار في الطريق، استخدم فيه أحد المتشاجرين مسدسًا.

كان حارس الحجرة قد توقَّف في قلق، منتظرًا أوامر الضابط، بشأن تلك التي اقتحمت الحجرة، فأشار إليه الضابط بالانصراف، و(غادة) تعقد ساعديها أمام صدرها، قائلة:

- ولكنكم ألقيتم القبض على ذلك الذي استخدم المسدس، وحصلتم على مسدسه بالفعل، ومن حقكم استجواب (نديم)، ولكن ليس من حقكم تفتيشه.

التفت إليها (مجدي) ببدنه كله، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- أخطأت أيتها الساذجة، فقانون الطوارئ يبيح لي حق تفتيش أي مواطن، وفي أية لحظة من لحظات الليل والنهار، لمجرد الاشتباه.

ابتسمت في ثقة، قائلة:

- ليس إذا كانت بينك وبينه خصومة شخصية.

قال في عصبية:

- أية خصومة شخصية، إنَّه مجرد متهم، أو مشتبه فيه، و..

قاطعته في صرامة:

- وماذا؟.. كان المفروض أن يستجوبه الضابط النوبتجي،

أو حتى يقوم بتفتيشه، ولكن إيقاظك من نومك، وحضورك العاجل إلى قسم شرطة لا يخصك، ومحاولتك تفتيش المشتبه فيه بنفسك، كلها عوامل تؤيد وجود خصومة شخصية بينك وبينه، خاصة عندما نضيف إلى هذا صراعك الشخصي معه، عندما كان يعمل في الشرطة.

هتف الضابط النوبتجي في دهشة:

- في الشرطة؟!.. هل كان السيد (نديم) زميلًا لنا فيما مضى؟

أجابته في سخرية:

- أتعني أن العقيد (مجدي) لم يخبرك بهذا؟

لم يجب الضابط، وإنَّما رمق (مجدي) بنظرة ضيق صامتة، جعلت (مجدي) يقول في حِدَّةٍ عصبية:

- فليكن أيتها الأفعى القانونية، سأتجاهل كل ما سمعته منك الآن، وسأقوم بتفتيش (نديم)، و...

قاطعته في سخرية:

- فليكن.. تجاهل ما يحلو لك، ولكن لتعلم أولًا أنَّني لم أكتفِ بالقدوم إلى هنا.. لقد أبرقت بالأمر إلى وزير الداخلية، وإلى اللواء (حلمي)، ورئيس الجمهورية، و..

راحت تعدِّد الجهات الرسمية، التي أبرقت إليها بالأمر، حتى شحب وجه الضابط النوبتجي، وهو يقول:

- ولكن لماذا كل هذا؟.. إنَّنا نتبع القانون، ولن نتجاوزه أبدًا..

لم يكن (نديم) قد نطق بكلمة واحدة، منذ اقتحمت (غادة) الحجرة، وكان يكتفي بمراقبتها في هدوء كعادته، ولكنه خالف هذه القاعدة، وقال في هدوءٍ شديدٍ، عند هذه النقطة:

- وأنا كذلك أسعى لتحقيق العدالة أيُّها الزميل.

التفت إليه الجميع في دهشة، وعقدت (غادة) حاجبيها في قلقٍ للعبارة، في حين هتف (مجدي) في لهفة:

- أيعني هذا أنَّك ستدلي باعترافك؟

سأله (نديم) في هدوء:

- أي اعتراف؟

أجابه في انفعال:

- الاعتراف بأنَّك (العقرب).

خُيِّل لـ(غادة) أنَّها قد لمحت شبح ابتسامة، على جانب شفتي (نديم)، وهو يقول:

- هذا اعتراف جيد منك، بأنَّ (العقرب) يسعى لتحقيق العدالة، يا عزيزي (مجدي)، ولكن ما أقصده لم يكن الاعتراف، وإنَّما التعاون.

قال (مجدي) في حذر:

- التعاون؟!

أجابه (نديم) في هدوء:

- نعم يا عزيزي (مجدي).. التعاون.. سأسمح لكم بتفتيشي، حتى لو كان هذا مخالفًا للقانون.

هتفت (غادة) في دهشة:

- (نديم)؟!

ولكنه قال في حزمٍ:

- إنَّني أعلم ما أفعل يا (غادة).

وواجه (مجدي)، مستطردًا:

- هيا يا (مجدي).. قم بتفتيشي.

تردَّد (مجدي) لحظة، أمام هذا التحدي المباشر، ثم لم يلبث أن انقضَّ على جيب (نديم)، قائلًا:

- نعم.. سأفعل.. لقد وافق أمامكم.. أليس كذلك؟

ولكن الجيب كان خاليًا..

كل جيوب (نديم) كانت كذلك..

وفي دهشة وحنق، هتف (مجدي):

- أين القناع إذن؟

أجابته (غادة) في سخرية:

- في عقلك وحده أيُّها العقيد.

مضت لحظة ثقيلة من الصمت، و(مجدي) يحدِّق في وجه (نديم) الجامد في توترٍ بالغٍ، قبل أن يقول (مجدي) في غضبٍ ثائرٍ:

- أين أخفيته؟

سأله (نديم) في برود:

- ما هذا الذي تعنيه؟

انقضَّ (مجدي) على (نديم)، وجذبه من قميصه في عنفٍ،

وهو يصرخ في وجهه:

- اسمع يا (نديم).. إنَّني لن أسمح لك بـ...

قاطعته (غادة) في غضبٍ:

إنَّك تتجاوز حقوقك القانونية يا (مجدي).

أما الضابط النوبتجي، فقد قال في توتر:

- معذرة يا سيادة العقيد، ولكنني لن أقبل حدوث تجاوزات في القسم، في فترة نوبتجيتي.

كاد الغضب ينفجر من وجه (مجدي)، أمام كل هذه الضغوط، وشعر الرائد (حسن) أنَّه من الممكن أن يورِّط (مجدي) نفسه في مشاكل قانونية عسيرة، فقال في قلق، وهو يربت على كتفه:

- لا بأس يا سيادة العقيد.. دعنا ننصرف الآن، و..

قاطعه (مجدي) في صرامة:

- لا.. ليس الآن.

ثم دفع (نديم) عنه، والتفت إلى الضابط النوبتجي، يسأله:

- هل استجوبته؟

أجابه الضابط:

- نعم.. ولقد قال إنَّه كان ييسر وحده في الطريق، عندما شاهد سيارة تهاجم أخرى، ويحاول رجلان من السيارة الأولى قتل رجل فاقدٍ الوعي، أصيب في ارتطام السيارة الثانية بجدار على جانب الطريق، فتدخل محاوِلًا إنقاذ الرجل.

سأله (مجدي):

- ومَن هذا الفاقد للوعي؟

أجابه الضابط:

- لقد استعاد وعيه، ولكنه متوتر الأعصاب بشدة، يطالبنا

طيلة الوقت بتركه، ويؤكِّد في كل لحظة أنَّه لن يتقدم بشكوى ضد أحد، و...

قاطعه (مجدي) في حِدَّةٍ:

- سألتك من هو؟

لم يرق هذا الأسلوب للضابط النوبتجي، ولكنه أجاب في ضيق:

- إنَّه الدكتور (جمال).. صاحب المستشفى الخاص، والمدير العلمي والفني لشركة (........) للبترول، و...

هتف به (مجدي) مقاطعًا:

- شركة البترول.

ثم التفت إلى (نديم)، وقال في صرامة:

- لماذا هذه الشركة بالذات؟

سأله (نديم) في هدوء:

- ماذا تقصد؟

أجابه في حِدَّةٍ:

- أقصد أنَّ (العقرب) قد هاجم اثنين، من مديري شركة البترول نفسها، في يومين متتاليين، فما الذي يسعى إليه، بشأن هذه الشركة بالذات؟

هزَّ (نديم) كتفيه، وقال في برود:

- يمكنك أن تسأله.

مضت لحظات، وكلاهما يواجه الآخر بنظرات نارية متحدية، قبل أن يقول (مجدي) في صرامة:

- فليكن يا (نديم).. سنعكس اللعبة، وسأعمل بنفسي على إطلاق سراحك هذه المرة، ولكن لتعلم أنَّني أمسكت طرف الخيط، وعرفت ما الذي يسعى إليه (العقرب) هذه المرة.. أو على الأقل أين يسعى، وسأضيِّق عليه الخناق، حتى أُوقِعَ به

متلبسًا، وعندئذ سأفعل ما أتمناه منذ زمن.

وأطبق قبضته، مستطردًا في غضب:

- سأسحقه..

وكان يعني ما يقول.

***

-١٦-

المجرمون

مرة أخرى قفز (كامل شكري) يلتقط سماعة الهاتف، في ردهة منزل الدكتور (جمال)، ويضعها على أذنه، هاتفًا:

- مَن المتحدث؟

انعقد حاجباه كالمعتاد، وهو يستمع إلى محدثه في صمت، قبل أن يقول:

- حسنًا.. اترك أحد الرجال لمراقبة القسم، وانطلق بنفسك خلف المحامي والفتاة.

قالها وأعاد السماعة إلى موضعها في عنف، وعاد ينفث دخان سيجاره في توتر وعصبية، فاقتربت منه زوجة (جمال)، وهي تفرك فيها في عصبية، قائلة:

- ماذا حدث؟.. هل (جمال) بخير؟

لوح بكفه، قائلًا:

- ما زالوا يحتجزونه في القسم، وأنا أجهل لماذا، ولكنهم أفرجوا عن (العقرب) وزميلته، و..

قاطعته في انزعاج:

- هل أطلقوا سراح (العقرب)؟!

زفر في حنق، وهو يدرك جهلها تمامًا بما تقول، في حين استطردت هي:

- ألا يعرضنا هذا للخطر؟!.. أليس من الأفضل أن..

قاطعها هذه المرة، وهو يتجه نحو الباب، قائلًا في صرامة:

- انتظري عودة زوجك يا سيدتي، وأبلغيني هاتفيًّا فور عودته.

هتفت به:

- وماذا لو حاول الفرار مرة أخرى؟

أجابها في غلظة:

- فليذهب إلى الجحيم.

وغادر الفيلا في عصبية بالغة، تاركًا الزوجة خلفه في حيرة، وصفق الباب في عنف، ثم دلف إلى سيارته، وهو يقول لسائقه في حِدَّةٍ:

- هيا.. دعنا ننصرف من هذا المكان اللعين.. هيا..

انطلق السائق بالسيارة في صمت، في حين راح (كامل) ينفث دخان سيجاره في قوة، وفي أعماقه يدور سؤال مخيف متكرر..

لماذا احتُجِز (جمال)، وأطلقوا سراح (نديم) و(غادة)؟..

لماذا؟..

***

«أريد أن أعرف لماذا؟..»

نطق (جمال) هذه الجملة في عصبية بالغة، وهو يتطلَّع إلى وجه (مجدي)، الذي بدا له صارمًا غاضبًا، وهو يجيب سؤاله في خشونة مخيفة:

- لأنَّني أحتاج إلى استجوابك يا دكتور (جمال).. ألا يبدو لك هذا جوابًا كافيًا، لسؤالك الخاص باحتجازك هنا؟

قال (جمال) في عصبية:

- ولماذا تستجوبني؟.. إنَّني المجني عليه، ولستُ الجاني!!

أجابه (مجدي) بنفس الخشونة:

- أريد أن أعرف لماذا حاول الرجلان قتلك؟

ثم مال نحوه بغتة، مضيفًا:

- ولماذا يطاردك (العقرب)؟

شحب وجه (جمال) في شدة، ولم يغب شحوبه عن عيني (مجدي)، الذي يراقب ردود أفعاله في اهتمام وخبرة، قبل أن يتمتم (جمال) في توتر:

- مَن (العقرب) هذا؟

ابتسامة (مجدي) امتلأت بالظفر هذه المرة، وتراجع بمقعده، وهو يقول:

- عجبًا!.. ومن أخبرك أن (العقرب) هذا اسم لشخص، وليس مجرد عقرب حقيقي؟

ارتبك (جمال) في شدة، وهو يقول:

- ماذا تعني؟

مال (مجدي) نحوه مرة أخرى في حِدَّةٍ، على نحو أفزع (جمال)، وجعله يتراجع بوجهه في توتر، و(مجدي) يقول بخشونته المخيفة:

- أعني أنَّك قد استخدمت في سؤالك لفظ (مَن؟)، ولم

تستخدم (ما؟)، وهذا يعني معرفتك أن (العقرب) شخص عاقل حي.

مضت لحظة من الصمت، ارتسم الرعب خلالها في عيني (جمال)، قبل أن يقول في عصبية:

- هذا لا يعني شيئًا.. إنَّه مجرد خطأ لفظي، ولست خبيرًا باللغة العربية، لتحاسبني على خطأ كهذا.

رمقه (مجدي) بنظرة غاضبة، قبل أن يتراجع ثانية، ثم ينهض من مقعده، ويدور حول (جمال) في بطءٍ، ثم يسأله من خلف ظهره بغتة:

- ماذا يحدث في شركة البترول يا دكتور (جمال)؟

أدرك أنَّه قد أصاب هدفه مباشرة، عندما ارتجف جسد (جمال) في شدة، وكاد يسقط من مقعده، لولا أن تشبَّث في قوة، وترنَّح لحظة، ثم أجاب في صوتٍ متحشرج مختنق، يشف عن انفعال جارف:

- ماذا تعني بسؤالك هذا؟.. كل شيء في الشركة يسير على

ما يرام.. لقد تأكَّد الجهاز المركزي للمحاسبات من هذا، وراجع بنفسه كل الأوراق، و..

قاطعه (مجدي) في صرامة:

- وماذا عن الأمور الأخرى، التي لم يكشف الجهاز المركزي للمحاسبات أمرها؟

صاح (جمال) في حِدَّةٍ:

- أية أمور أخرى؟.. هل تتهمني بأشياء محدودة أيُّها العقيد؟.. أظن من حقي استدعاء محامي الشركة، في هذه الحالة.

اعتدل (مجدي) وقال في حنق:

- لا.. لست أتهمك بشيء يا دكتور (جمال).. لقد تمَّ استجوابك، ويمكنك الانصراف إلى منزلك الآن.

همَّ (جمال) من مقعده، وهو يهتف في عصبية:

- بالطبع.. سأرحل على الفور.

واندفع مغادرًا الحجرة، خشية أن يتراجع (مجدي) في قوله، فأشار (حسن) إلى الباب، الذي صفقه (جمال) خلفه، وقال:

- هل أرسل خلفه من يراقبه؟

هزَّ (مجدي) رأسه نفيًا، وقال:

- لا.. من الواضح أن هذا لن يفيدنا كثيرًا.

وصمت لحظة مفكرًا، قبل أن يضيف:

- ولكنني سأبدأ في مراجعة ملف شركة البترول هذه، بحثًا عمَّا يسعى (العقرب) خلفه، وبهذه الطريقة قد يمكننا ضبط مخالفة قانونية رهيبة، و..

صمت لحظة أخرى، ثم أضاف في سخط:

- والإيقاع بـ(العقرب)، في الوقت نفسه...

***

أطلقت (غادة) ضحكة مرحة، وهي تقود السيارة، وإلى جوارها يجلس (نديم) في استرخاء، وهتفت في إعجاب:

- يا لها من فكرة بسيطة وذكية يا (نديم)!.. كيف خطرت ببالك في القسم؟

أجابها في تراخٍ، وهو يريح رأسه على المسند الخلفي لمقعده:

- كان الأمر أبسط مما تتصورين، فلقد لاحظت ذلك التجويف، المختفي بين النافذة وإطارها، وتظاهرت بالاستناد إلى الإطار، ووضعت القناع والبطاقات داخل التجويف، وبعدها كان من السهل استعادتهما عند انصرافنا.

سألته ضاحكة:

- أكنت تعلم أنهم سيقومون بتفتيشك؟

هزَّ كتفيه، قائلًا:

- كان هذا احتمالًا واردًا بالطبع.

عادت تسأله في مرحٍ:

- ألم تخش أن يعثر عليها أحد؟

أجابها في هدوء:

- لا.. لم أخش هذا، فالقناع أسود اللون، ولقد أحطت البطاقات به، ووضعته داخل تجويف مظلم، لا يمكن أن ينتبه إليه سواي.

هزَّت رأسها في إعجاب، واختلست نظرة إليه، قبل أن تقول في هيام:

- هذا هو (نديم) الذي أعرفه، هادئ، وذكي، ودقيق.

كانت واثقة بأنَّه قد انتبه إلى رنَّة الحب في قولها، على الرغم من صمته، وتجاهله التام لهذا، وإسباله جفنيه، فأضافت في لهجة شبه رسمية:

- والآن.. ماذا تقترح، بعد أن فشلت في معرفة السر من (جمال)؟

تطلّع إلى ساعته، وقال:

- أقترح أن نحاول الاستفادة بالساعات الثلاث الباقية، قبل مطلع الشمس.

سألته في اهتمام:

- كيف؟

أجابها في هدوء:

- نزور (أشرف) في منزله مثلًا.. إنَّه يقيم بالقرب من هنا، في الطابق الأخير من بناية ضخمة.

سألته في قلق:

- ألا ترى معي أنَّها مخاطرة كبيرة؟.. لقد تركنا (مجدي) منذ قليل، و..

قاطعها في هدوء:

- هذا بالضبط هو الذي دفعني إلى الاقتراح؛ فلن يتوقع (مجدي) أو أفراد العصابة البترولية أن نضرب ضربتنا الثانية بهذه السرعة، وفي مثل هذه الظروف.

تطلّعت إلى مرآة سيارتها، وقالت:

- أخالفك القول هذه المرة، فمن المؤكد أن (مجدي) قد أرسل رجاله خلفنا، وإلا فكيف تفسر وجود هذه السيارة، التي تطاردنا، منذ مغادرتنا قسم الشرطة.

انعقد حاجباه، واعتدل في حركة مفاجئة، ثم أمسك مرآة السيارة، وأمالها لتلائم موقعه، وألقى نظرة طويلة على السيارة الكبيرة، التي تتبع سيارة (غادة)، قبل أن يعيد المرآة إلى موضعها، قائلًا:

- إنَّه ليس (مجدي).

ألقت نظرة سريعة على المرآة، وقالت في قلق:

- ماذا تعني بأنه ليس (مجدي)؟.. أتقصد هؤلاء الذين يتبعوننا، ليسوا من رجال الشرطة.

أجابها في هدوء:

- بالطبع.

كادت تهتف به:

- كيف عرفت؟

ولكنه وفر عليها إلقاء السؤال، واستطرد في حزمٍ:

- الشرطة لا تمتلك سيارات فاخرة كهذه، ثم إنَّها لا ترسل أربعة رجال دفعة واحدة، لمراقبة شخصين، أليس كذلك؟

أومأت برأسها موافقة في قلق، وغمغمت:

- في هذه الحالة أظنُّ أنَّنا في خطر.

أجابها في هدوء:

- بالنسبة إليَّ لستُ أظنُّ هذا.

كانت السيارة قد اقتربت منهما كثيرًا، عندما أضاف:

- أنا واثق منه.

ولم يكد يتم عبارته، حتى اندفعت السيارة إلى جوارهما، وانحرفت نحوهما انحرافًا حادًّا..

وقاتلًا..

***

-١٧-

ضربة عند الفجر

عندما انحرف (وجيه) بالسيارة الضخمة، نحو سيارة (غادة) الرياضية، كان يلمح (غادة) وهي تقود السيارة، وكان يتصور أنَّه سيسحق (غادة) وسيارتها بضربة واحدة، ثم يمضي في طريقه، ليزف لـ(كامل شكري) بشرى القضاء على خصمه اللدود..

ولكن (غادة) خيبت ظنَّ (وجيه)..

لقد أدركت على الفور أن (وجيه) سينحرف بسيارته نحوها، فضغطت كامِح السيارة في حزمٍ، وخفضت سرعة السيارة على نحو مباغت، جعل سيارة (وجيه) تسبقها بعدة أمتار، ثم تنحرف أمامها في عنف..

وفي صوت قوي، يموج بالحماس، قال (نديم):

- حركة رائعة يا (غادة)، والآن تعلقي بمؤخرة سيارتهم، ولا

تسمحي لهم بالعودة إلى جوارنا مرة أخرى.

نفَّذت ما طلبه منها، وهي تقول في قلق:

- ولكنهم سيطلقون نيران أسلحتهم نحونا من الخلف.

التقط حقيبتها، وانتزع منها مسدسها الصغير، قائلًا:

- ليس عندما أستعير مسدسك.

كان رجال (وجيه) يستعدون لإطلاق النار عليهما من الخلف بالفعل، عندما أطلق هو رصاصة من مسدس (غادة)، انفجر إثرها الإطار الأيمن للسيارة، ودوَّى صوته كقنبلة في الظلام، وانحرفت سيارة (وجيه) يمينًا في عنف، فهتف (نديم):

- انطلقي إلى يسارهم يا (غادة).. الآن.

أطاعته دون تفكير، وانطلقت إلى يسار سيارة (وجيه)، الذي واجه (نديم) مباشرة، عبر نافذتي السيارتين، فصرخ في غضب:

- لن تفلت أيُّها الـ..

قاطعه (نديم) برصاصة ثانية، أطلقها على الإطار الأمامي الأيسر للسيارة، فاختل توازنها تمامًا، وأفلتت عجلة القيادة من يد (وجيه)، الذي صرخ:

- أيُّها الحقير.

ثم انحرفت به السيارة في عنف، وارتطمت بالحائط، ثم توقَّف محركها تمامًا..

وضغطت (غادة) دواسة الوقود، في محاولة للابتعاد بأقصى سرعتها، ولكنها فوجئت بـ(نديم) يهتف بها:

- توقفي.

انتقلت قدمها، في حركة غريزية إلى كامِح السيارة، التي توقفت بصريرٍ مفزعٍ، وهتفت (غادة):

- ماذا ستفعل؟

قفز (نديم) من السيارة، هاتفًا:

- أريد ذلك الوغد.

اندفع في خطوات سريعة نحو سيارة (وجيه)، وهو يحمل مسدس (غادة)، واقترب من السيارة في حذرٍ، حتى تأكَّد من أن ركابَها الأربعة فاقدوا الوعي، فانتزع (وجيه) من خلف عجلة القيادة، وقيَّد معصميه خلف ظهره، ثم حمله على كتفه، وعاد به بسرعة إلى سيارة (غادة)، فألقاه على أريكتها الخلفية، وسمعها تهتف:

- ماذا ستفعل به؟

أجابها وهو ينتقل إلى مقعده المجاور لها:

- لو صحَّت ذاكرتي، فهذا الوغد هو (وجيه سمعان)، أحد أخطر مجرمي (مصر)، منذ عشر سنوات.

سألته وهي تنطلق بالسيارة مبتعدة:

- وماذا ستفعل به؟

أجابها في حزمٍ:

- سأستجوبه.

كان جوابه المقتضب كافيًا، فلاذت بالصمت تمامًا، وواصلت انطلاقها بالسيارة بعض الوقت، ثم سألته في توتر:

- أما زلتَ مصرًا على زيارة (أشرف)؟

تطلع إلى ساعته، ثم أجاب في هدوء:

- لستُ أظننا سنجد وقتًا أفضل من هذا.

وعاد يسترخي في مقعده..

***

كانت ليلة شديدة الملل، بالنسبة لحارس البناية الفاخرة، التي يقيم فيها المهندس (أشرف)، فلقد عاد جميع سكان البناية إلى منازلهم، في وقتٍ مبكر، وأغلق هو الأبواب قبل منتصف الليل، ولكنه اضطر للبقاء مستيقظًا، مرتديًا زيه

الخاص، الذي سلمته إياه شركة الأمن، المسئولة عن البناية، خشية أن يمر أحد مسئولي الشركة، في تفتيش مفاجئ، ما حدث منذ أربعة أيام..

ولقد خسر يومين من مرتبه في ذلك اليوم، بسبب عدم ارتدائه السترة الرسمية، وهو غير مستعدٌّ لخسارة يومين آخرين..

وفي ضجر، تثاءب الحارس للمرة العشرين، خلال ساعة واحدة، وراح يقلب صفحات المجلة الفنية الحديثة بين يديه، ويطالع صور الممثلين والممثلات في تراخٍ، حتى سمع صوتًا صارمًا يقول:

- اعتدِل يا رجل.

ألقى الرجل مجلته، واعتدل في سرعة، والتفت إلى ذلك الرجل الصارم، صاحب الشارب الأشيب الكث، الذي يرتدي سترة خاصة، تحمل شعار شركة الأمن، والذي قال مستطردًا:

- أتحرس البناية، أم تطالع المجلات الفنية؟

ارتبك الحارس، وقال:

- إنَّها وسيلة لتمضية الوقت فحسب يا سيدي، ولكنني لم أغادر موقعي كما رأيت.

سأله الرجل:

- وماذا عن الطوابق العلوية؟

ازدرد الحارس لعابه، وقال:

- لن يصلها أي مخلوق، ما دمت أحرس المدخل يا سيدي.

مطَّ الرجل شفتيه، وكأنَّما لم يرق له الجواب، ثم أزاح الحارس من أمامه، وقال في صرامة:

- افتح البوابة.

أسرع الحارس يفتح البوابة الأمامية، فعبرها الرجل في هدوء، ثم التفت إليه، قائلًا في صرامة:

- عد إلى عملك.

أجابه الحارس في توتر:

- بالطبع يا سيدي.. بالطبع.

أغلق البوابة خلفه، وراقبه في قلق، حتى أغلق المصعد خلفه، ثم تنهَّد في عمق، وقال:

- حمدًا لله.. كنت منتبهًا متيقظًا هذه المرة.

وعاد يطالع المجلة في حذر، وهو يختلس النظر إلى المصعد، في انتظار عودة مفتش الشركة، الذي استقلَّ المصعد إلى الطابق الأخير، وهناك نزع شاربه الكث المستعار، ووضع على عينيه قناع (العقرب)، وارتدى قفازيه..

وبدأ العمل..

وفي هدوء ودقة، راح يعالج رتاج باب شقة (أشرف) الفاخرة، حتى استجاب له الرتاج، وانفتح في صمتٍ، فدفع الباب، ودلف إلى الشقة، وأغلق خلفه في حرصٍ..

كانت أمامه ردهة واسعة، شديدة الفخامة، تجمع بين الثراء والأناقة، وحسن الذوق، وتزدان جدرانها بلوحات جميلة ثمينة، يحمل بعضها توقيع مشاهير الفنانين المصريين، مما جعل (نديم) يتمتم:

- لو أنَّ الشقة كلها بهذه الصورة، فثمنها لن يقل عن ثلاثة ملايين على الأقل.

ثم تقدَّم نحو ثلاث درجات رخامية، تقود إلى ممر حجرات النوم، وهو يستطرد:

- ولستُ أظن مرتب (أشرف) يبلغ هذا الحد.

كانت تمتد أمامه، عبر الممر، خمس حجرات للنوم، ولكنه تقدم نحو أبعدها عن الممر في ثقة، ودفع بابها في حذر..

كان يعلم - من تحرياته السابقة - أنَّ (أشرف) يحيا وحده، ويخدمه خمسة من الخدم، يقيم ثلاثة منهم في نفس الشقة، ويعود اثنان إلى منزلهما بعد انتهاء العمل..

وكان يعرف أيضًا في أية حجرة يقيم (أشرف)..

وعبر الحجرة الواسعة الفاخرة، رأى فراش (أشرف) الوثير، وهذا الأخير يرقد فيه نائمًا، فدلف إلى الحجرة، وأغلق بابها خلفه، واتجه إلى الفراش على أطراف أصابعه..

وفجأة سطعت الأضواء في الحجرة، وارتفع معها صوت صارم، يقول:

- هل أخطأت طريقك يا صاح؟

التفت (العقرب) في سرعة إلى مصدر الصوت، ورأى (أشرف) في ركن الحجرة، يصوِّب إليه مسدسًا ضخمًا، في حين نهض أحد رجاله من الفراش، وصوَّب بدوره مسدسًا آخر إلى (العقرب)، وهو يقول في سخرية:

- لقد وقعت هذه المرة يا (زورو).

وأطبق الفخ فكيه..

***

تطلعت (غادة) إلى ساعتها في قلق، وهي تغمغم لنفسها:

- ترى كم يستغرق بلوغ الطابق العلوي، والإيقاع بـ(أشرف) هذا؟

لم تكد تتم عبارتها، حتى سمعت آهة ألم، انطلقت من بين شفتي (وجيه)، فالتفتت إليه في حركة حادة، ورأته يعتدل جالسًا، على الأريكة الخلفية للسيارة، وهو يحاول التملص من قيود معصميه في عصبية، قبل أن يتطلع إليها، قائلًا في حِدَّةٍ:

- ماذا فعلت بي؟

أجابته في سخرية:

- كما ترى يا ملك اللصوص.. لقد فقدتَ الوعي، واستيقظت لتجد نفسك مقيد المعصمين في سيارتي، فما رأيك؟

قال في عصبية:

- رأيي أنَّك ستدفعين ثمن هذا غاليًا.

أطلقت ضحكة ساخرة قصيرة، وهي تقول:

- كيف؟.. بالعملة المحلية أم الصعبة؟

قال في غلظة:

- ما رأيك لو أطلقت صرخات عالية، جذبت رجال الشرطة إلى هنا؟.. كيف ستفسرين لهم وجودي داخل سيارتك مقيد المعصمين؟

قالت في برود:

- أشكر لك تحذيري.

وفجأة، وقبل أن ينتبه إلى ما ستفعله، هوت قبضتها على جبهته، فدار رأسه في ألم، وهمَّ بإطلاق سباب ساخط، لولا أن أحاط منديل كبير شفتيه، وشعر بيد (غادة) تعقده في إحكام خلف رأسه، وهي تقول ساخرة:

- كان يمكنك أن تفعل هذا بالطبع.. سابقًا.

راح يضرب المقعد بقدميه في سخط، فرمقته بنظرة صارمة، وهي تقول:

- اسمع.. لو لم تتوقف عن هذه الحركات الصبيانية، فسأبتر قدميك دون تردد.. هل تفهم؟

كانت تتحدث بصرامة مخيفة، حتى أنَّه توقف عن ضرب المقعد بقدميه بالفعل، وتطلَّع إليها في قلقٍ، فابتسمت قائلة في سخرية:

- حسنًا فعلت.. إنَّني أحب الصبية المطيعين.

وتطلعت إلى ساعتها، مستطردة:

- على الأقل حتى يعود الصبية الأخيار.

واكتسى صوتها بقلقٍ وخوفٍ مفاجئين، وهي تضيف:

- هذا إذا عادوا..

***

كان الموقف دقيقًا بالفعل..

لقد سقط (العقرب) في فخٍّ حقيقي..

فخٌّ أعده له أحد أفراد العصابة، وسقط هو فيه كغر ساذج..

ولكن عقله – بطبيعته – كان يرفض فكرة الاستسلام، وفكرة الخسارة؛ لذا فقد عقد ساعديه أمام صدره في هدوء، وقال محاولًا تغيير نبرات صوته بقدر الإمكان:

- إذن فقد كنتم تتوقعون حضوري.

أجابه (أشرف) في صرامة:

- كنت أعلم أنَّك ستهاجمني لا محالة، ما دمت قد هاجمت (رضوان)، وكنت أنتظرك منذ ذلك الحين.

قال (العقرب) في هدوء:

- تفكير ممتاز أيُّها المهندس.. تُرى أهو نفس الأسلوب، الذي اتبعته، في سرقة البترول؟

ابتسم (أشرف) في سخرية، وقال:

- لن يمكنك أبدًا التوصل إلى الأسلوب العبقري، الذي نحصل به على البترول.

هزَّ (العقرب) كتفيه، وقال:

- من المؤكَّد أنَّه أسلوب عبقري، ما دام الجميع قد فشلوا في كشفه، طوال هذه الفترة.

بدت علامات الزهو على وجه (أشرف)، وهو يقول:

- إنَّه ذلك بالفعل.

شعر الرجل الآخر بالضجر، فسأل (أشرف) في قلق:

- هل نقتله؟

أجابه (أشرف) في حزمٍ:

- ليس قبل استشارة (كامل) بك يا (شندي).

قال (العقرب) في هدوء:

- إذن فـ(كامل شكري) هو زعيم العصابة.

عقد (أشرف) حاجبيه في حِدَّةٍ، وهو يقول:

- زعيم العصابة؟!.. يا له من لفظ سخيف!

هزَّ (العقرب) كتفيه مرة أخرى، وقال:

- ولكنها الحقيقة.. أليس كذلك؟

وهنا قال (شندي) في توتر:

- هل نخلع قناعه إذن؟

رفع (أشرف) كتفيه، وقال:

- فكرة رائعة.

ثم أشار إلى (شندي) مستطردًا:

- هيا.. انزع قناعه.

وفي جذل عجيب، اتجه (شندي) نحو (العقرب)، وهو يصوب إليه مسدسه، ليخلع عنه قناعه الأسود..

وعاد الخطر.

***

-١٨-

العصابة

ارتجف الدكتور (جمال) في شدة، وهو يقف أمام (كامل شكري)، قبل ساعة واحدة من شروق الشمس، وأخذ (كامل) يتفحصه بنظراته الصارمة الصامتة، حتى كادت أعصاب (جمال) تنهار وهو يقول في عصبية:

- نعم.. لقد حاولت الفرار.. كلنا ينبغي أن نفعل هذا.. لماذا نبقى؟.. لقد جمعنا ما يكفي من الأموال، ولدينا الملايين في بنوك (سويسرا)، فلماذا لا نغادر البلاد في اللحظة المناسبة، ونتمتع بأموالنا في الخارج؟

أجابه (كامل) في صرامة:

- لأنَّك غبي.

تراجع (جمال) في دهشة، وهو يقول:

- غبي؟!

اعتدل (كامل)، وهتف به في غضب:

- نعم يا (جمال).. لأنَّك غبي.. ينبغي أن تعلم أن لعبتنا لا يمكنها أن تنتهي بهذا الأسلوب، فلو غادر أحدنا موقعه، دون الاتفاق مع الآخرين، فسيعني هذا أن يحتل شخص آخر هذا الموقع، مما يعرضنا جميعًا لانكشاف أمرنا، وسقوطنا، وهذا يعني أن ما فعلته يعد خيانة يا (جمال).. خيانة تستحق الموت..

شحب وجه (جمال)، وانكمش هاتفًا في رعب:

- لا.. لا يا (كامل) بك.. أرجوك.

ابتسم (زهدي) في تشفٍّ، وهو يجذب مشط مسدسه، قائلًا:

- هل تأمرني بهذا يا (كامل) بك؟

انهار (جمال) تمامًا، وسقط عند قدمي (كامل)، وراح

يقبلهما في رعب، هاتفًا:

- الرحمة يا (كامل) بك.. الرحمة.

سأله (كامل) في برود:

- أتعتقد أنَّك تستحق الرحمة يا (جمال)؟

انهمرت دموع (جمال) في مرارة، وهو يقول:

- كنتُ خائفًا يا (كامل) بك.. كنتُ خائفًا.

وعاد (زهدي) يكرِّر:

- هل أنفذ الأمر؟

ولكن (كامل) أشار إليه بالصمت، وقال لـ(جمال) في ازدراء:

- حسنًا يا (جمال).. لن أقتلك.

انهمرت دموع (جمال) أكثر، وهو يبلل بهما حذاء (كامل)،

قائلًا:

- أشكرك يا (كامل) بك.. أشكرك كثيرًا.

دفعه (كامل) بقدمه في ازدراء، والتفت إلى (زهدي)، قائلًا:

- أعد مسدسك إلى غمده يا (زهدي).

مطَّ (زهدي) شفتيه في أسف، وأعاد مسدسه إلى غمده، في حين انتحى (جمال) ركنًا، وراح يبكي في مرارة، و(كامل) يسأل (زهدي):

- ألم يعد (وجيه) بعد، أو يتصل هاتفيًا؟

هزَّ (زهدي) رأسه نفيًا، وقال:

- لا.. ليس بعد.

نفث (كامل) دخان سيجارته في عصبية، وقال:

- لماذا تبدو هذه الليلة، وأنَّها بلا نهاية؟

وكان على حق..

إن أحداث الليلة لم تنته بعد..

ولا أحد يعلم ماذا سيحدث..

***

في اللحظات التي اتجه فيها (شندي) نحو (العقرب)، كان هذا الأخير يلقي على نفسه سؤالًا محدودًا..

لماذا كثر تعرضه لنزع قناعه هذه المرة؟..

ولأن عقله اعتاد الدقة والهدوء، فقد أزاح هذا السؤال جانبًا مؤقتًا، وعاد يركز تفكيره على الموقف..

إنَّهم سينزعون قناعه الآن، وسيكشفون حقيقة شخصيته..

إلا إذا..

وفجأة، قبل أن تبلغ أصابع (شندي) قناعه، قال (العقرب)

في حزمٍ:

- مهلًا يا سيد (أشرف).. هل تعلم أولًا إلى أية جهة أنتمي؟

ابتسم (أشرف) في سخرية، وقال:

- نعم.. لقد تحرَّى (كامل) بك الأمر، وعلم أنَّك شخص مختل التفكير، يتصوَّر نفسه سيف العدالة في الأرض، ويواجه الجريمة وحده، و..

قاطعه (العقرب) في هدوء:

- هذا ما يشيعه الزملاء في الشرطة.

تجمَّدت يد (شندي) قبل أن تلمس قناع (العقرب)، في حين انعقد حاجبا (أشرف) في توتر، وهو يردِّد:

- الزملاء في الشرطة؟

قال (العقرب) في هدوء:

- نعم يا سيد (أشرف).. الزملاء في الشرطة.. لقد وقعت مع رفاقك في نفس الفخ، الذي وقع فيه الآخرون، عندما انطلت عليهم خدعتنا، وتصورتم أنَّني أعمل ضد رجال الشرطة، ودفعك هذا إلى الإدلاء باعتراف تفصيلي أمامي، دون حذر.

تراجع (أشرف)، هاتفًا في هلع:

- اعتراف؟

أشار (العقرب) إلى ساعة يده، قائلًا:

- نعم يا (أشرف).. اعتراف نقله جهاز التسجيل الصغير في ساعتي، إلى بعض الزملاء، في سيارة الأجهزة المساعدة، أسفل البناية.

ورفع ساعته، وكأنَّما يدعوهما لرؤيتها، مستطردًا في حزمٍ:

- لقد وقعت يا رجل.

مال (شندي) بحركة غريزية، ليتطلع إلى الساعة، وكذلك

اقترب منها (أشرف)..

وهنا تحرَّك (العقرب)..

تراجعت قبضته في حركة مباغتة، لترتطم بأنف (شندي) كالقنبلة، وتدفعه إلى الخلف في عنف، ثم قفزت قدم تركل المسدس من يد (أشرف)، الذي صرخ:

- إنَّها خدعة.

ودون أن يُضيع (العقرب) لحظة واحدة، انقضَّ مرة أخرى على (شندي)، وكال له لكمة عنيفة في معدته، وثانية في أسنانه، سقط لها الرجل فاقدًا الوعي..

واندفع (أشرف) يحاول استعادة مسدسه، ولكن (العقرب) قفز نحوه مرة ثانية، وركل المسدس بعيدًا، ثم أمسك معصم (أشرف)، ولوى ذراعه خلف ظهره في قوة، جعلت هذا الأخير يصرخ في ألم:

- إنَّك ستكسر ذراعي.

أجابه (العقرب) في صرامة:

- صدقت.. إنَّني سأفعل حتمًا، لو لم تخبرني بالوسيلة، التي تختلسون بها البترول.

هتف (أشرف) في ألم:

- إنَّها فكرة (كامل).. أُقسم لك إنَّها فكرته.. هو الذي أقنعنا جميعًا بها.

شدَّد (العقرب) ضغطه على ذراع (أشرف)، وهو يسأله:

- وما هي هذه الفكرة؟

أجابه (أشرف)، وهو يتأوه ألمًا:

- إنَّه فارق أسعار الـ..

وقبل أن يتم عبارته، اندفع خَدَم (أشرف) الثلاثة داخل الحجرة، وهتف أحدهم في ذعر:

- ما هذا؟.. مَن أنت؟

وصرخ (أشرف):

- هاجموه يا رجال.. أنقذوني من هذا اللص.

واندفع الرجال الثلاثة نحو (العقرب) بلا تردد..

وفي قوة، دفع (العقرب) (أشرف) في وجه الخدم الثلاثة، ثم ركل وجه أحدهم بقدمه، وقفز متجاوزًا الآخرين، واندفع خارج الحجرة، وأغلق بابها خلفه، ثم أسرع يغادِر المكان، وهو يسمع (أشرف) يصرخ خلفه:

- ألقوا القبض عليه.. أمسكوه.

ولكن (العقرب) قفز داخل المصعد، وخلع قناعه وقفازيه، وهو يهبط به إلى أسفل، وأعاد السترة والشارب الكث المستعار، وهو يغمغم في ضيق:

- لماذا تفشل اللعبة دائمًا، في اللحظة التي أكاد أبلغ فيها الحقيقة؟

بلغ الطابق السفلي في سرعة، ولم يكد حارس البناية يراه، حتى اعتدل في احترام، وسأله:

- هل وجدت شيئًا يا سيدي المفتش؟

مطَّ (العقرب) شفتيه، وقال:

- لا.. كل شيء على ما يرام.

وغادر المكان في خطوات سريعة، مستطردًا:

- افتح عينيك جيدًا.

أجابه الحارس:

- سأفعل يا سيدي.. سأفعل بالتأكيد.

ولم يكد (العقرب) يغيب عن عينيه، حتى تنفس الصعداء، وتمتم:

- حمدًا لله.. كل شيء سار على ما يرام هذه المرة.

ولكنه لم يكد يتم عبارته، حتى هبط خدم (أشرف) في المصعد الآخر، وصاح به أحدهم:

- هل شاهدت شخصًا يغادر البناية الآن؟

أجابه في قلق:

- نعم.. إنَّه مفتش شركة الأمن، و..

قاطعه الخادم في سخط:

- بل هو لص.. أبلغ الشرطة بسرعة..

وكاد الحارس يفقد وعيه..

أما (نديم)، فقد خلع السترة والشارب المستعار، وهو يتجه نحو سيارة (غادة)، التي لم تكد تلمحه، حتى هتفت:

- لماذا تأخرت؟.. لقد أصابني قلقٌ شديدٌ.

ألقى نظرة لا مبالية على (وجيه)، الذي يجلس في المقعد الخلفي، وقال وهو يجلس جوارها في هدوءٍ:

- حدث ارتباك بسيط في الأحداث.

انطلقت بالسيارة على الفور، وهي تسأله:

- ارتباك بسيط؟!

أجاب في هدوء:

- إلى حدٍّ ما.

سألته في اهتمام:

- وماذا عن السر؟.. هل حصلت عليه؟

هزَّ رأسه نفيًا، وهو يقول:

- كلَّا للأسف.

ثم ألقى نظرة جانبية على (وجيه)، وأضاف:

- ولكن لدينا فرصة أخرى.

واسترخى في مقعده، مستطردًا:

- هيا يا عزيزتي.. انطلقي بنا إلى منطقة هادئة، فلدينا حديث طويل مع هذا الوغد.

وأسبل جفنيه في هدوء..

***

انعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وهو يستمع إلى خدم (أشرف)، قبل أن يسأل أحدهم في توتر:

- ألم يترك بطاقة خلفه؟

حدَّق الخادم في وجهه بدهشة، وهو يردد:

- بطاقة؟!

لوَّح (مجدي) بكفه، قائلًا:

- حسنًا.. لا عليك.. إنَّه مجرد سؤال.. هيا.. انصرف.

انصرف الخادم من أمامه، في حين اقترب منه الرائد (حسن)، وقال:

- من الواضح أنَّ (العقرب) لم يهدأ هذه الليلة.

تمتم (مجدي) في حنق:

- إنَّه لم يضع لحظة واحدة.

ثم التفت إلى (أشرف)، وقال في عصبية:

- سيد (أشرف).. أتراهن أنَّني أستطيع تخمين جهة عملك؟

تطلَّع إليه (أشرف) في دهشة، فأضاف بعصبية أكثر:

- إنَّك تعمل بشركة (...........) للبترول.. أليس كذلك؟

حدَّق (أشرف) في وجهه بدهشة، وهتف:

- كيف علمت؟

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء يا سيد (أشرف)، فمن الواضح أن (العقرب) ينتقي مديري هذه الشركة لهجماته هذه المرة.

شحب وجه (أشرف)، وهو يغمغم:

- ينتقيهم؟!.. هل هاجم (عماد) و(جمال) أيضًا؟

برقت عينا (مجدي)، وهو يقول:

- إذن فأنت تعرف (جمال)؟

ارتبك (أشرف)، وهو يقول:

- بالتأكيد.. إنَّه زميل عمل.

سأله (مجدي):

- ومَن (عماد) هذا؟

أجابه في توتر:

- إنَّه مدير الإنتاج والمتابعة في الشركة.

تطلَّع (مجدي) إلى الردهة البالغة الفخامة، وهو يسأله:

- وهل يحيا مثلك، ومثل (رضوان)، في مكان فاخر كهذا؟

أجابه (أشرف) في ارتباك:

- إنَّني أمتلك مكتبًا هندسيًّا معروفًا، و(عماد) متزوج من سيدة ثرية.

ابتسم (مجدي) ابتسامة عصبية، وهو يقول:

- بالطبع.. كل منكم لديه ما يبرر الثراء الزائد.. هذا أكيد.

ثم التفت إلى الرائد (حسن)، وأضاف:

- هيا يا (حسن).. دعنا لا نخسر الجولة القادمة.. أرسل رجالنا لمراقبة محل إقامة (عماد) هذا، قبل أن يضرب (العقرب) ضربته التالية.. سيخبرك السيد (أشرف) بعنوانه الآن.. أليس كذلك يا سيد (أشرف)؟

أجابه (أشرف) متوترًا:

- بلى سأخبره بالطبع.

سأله (مجدي):

- أهناك شخص آخر؟

كاد (أشرف) يخبره باسم (كامل شكري) إلا أنَّه أمسك لسانه في اللحظة الأخيرة، وهو يجيب:

- لا.. لا يوجد سوى (عماد).

هتف (مجدي) في حماس:

- عظيم.. هذا سيجعل الأمر محدودًا.

غمغم (أشرف):

- بالطبع.. سيجعله محدودًا.

ولكنه كان يشعر بقلقٍ شديدٍ..

وبخوفٍ بلا حدود..



-١٩-

أول الخيط

كان الشفق قد تلوَّن بألوان الشروق الجميلة، عندما أوقفت (غادة) سيارتها عند سفح الهرم، والتفتت إلى (وجيه) تقول:

- نهاية الخط يا صاح.

بدا التوتر على ملامح (وجيه)، في حين غادر (نديم) مقعده، وفتح الباب الخلفي للسيارة، وجذب (وجيه) خارجها، قائلًا في صرامة:

- هل أصابك الصمم يا رجل؟.. ألم تسمع ما قالته زميلتي؟

ثم مد يده إلى (غادة)، مستطردًا:

- هلا أعرتني مسدسك الصغير يا عزيزتي؟

ناولته (غادة) مسدسها، ونزعت الكمامة عن فم (وجيه)، الذي قال في عصبية واضحة:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

صوَّب (نديم) المسدس إلى رأس (وجيه)، وقال في برود:

- ألم تفهم يا رجل؟.. إنَّنا سننسف رأسك هنا.

امتقع وجه (وجيه)، وقال بمزيد من العصبية:

- أراهن أنَّك تحاول إخافتي فحسب.

جذب (نديم) إبرة المسدس، وقال:

- فليكن، ولكنك لن تربح هذا الرهان.

كان يبدو صارمًا حازمًا، حتى أن (وجيه) شعر بخوفٍ حقيقي، جعل العرق يتصبب على جبينه، وقلبه ينبض في عنفٍ، وهو يلتفت إلى (غادة)، قائلًا:

- أهو صادق في قوله هذا؟

ابتسمت في سخرية، وقالت:

- ستعرف بعد لحظة واحدة.

وألصق (نديم) فوهة المسدس بجبهة (وجيه)، قائلًا في برود:

- وداعًا أيُّها الوغد.

صرخ (وجيه):

- لا.. لا.. لا تطلق النار.

سأله (نديم) في برود:

- ومن سيمنعني؟

هتف (وجيه):

- أنا.

ثم استدرك في سرعة:

- يمكنني أن أدفع الثمن.

قال (نديم) في هدوء:

- لستُ أحتاج إلى المال.

أجابه (وجيه) في سرعة:

- لدي ما ترغب في معرفته على الأقل.

عقد (نديم) حاجبيه، وأعاد إبرة مسدسه إلى موضعها، وهو يقول:

- مثل ماذا؟

أجابه في سرعة:

- إنَّني أعرف اسم الرجل، الذي قتل زميلَه، في منزل الصحفي.. إنَّه (زهدي).. (زهدي عريان).. إنَّني مستعد للاعتراف بهذا.

أشار (نديم) إلى (غادة)، قائلًا:

- أحضري جهاز التسجيل الصغير، فسيسجل صديقنا هذا اعترافه.

أحضرت (غادة) جهاز التسجيل، وأدنته من فم (وجيه)، الذي أسرع يدلي باعتراف تفصيلي، عن إرساله رجلين للقضاء على صفحي يُدعى (أحمد عبد الغفار)، وكيف أن أحدهما قتل رفيقه، وحاول إلصاق التهمة بـ(العقرب)، ولم يكد ينتهي حتى أوقفت (غادة) التسجيل، وسأله (نديم) في هدوء:

- هذا اعتراف يفيد (العقرب) يا رجل، ولكن ماذا عني أنا؟

سأله في توتر:

- وما الذي ترغب في معرفته؟

عاد (نديم) يجذب إبرة مسدسه، وهو يقول:

- كيف يختلس (كامل شكري) ورفاقه البترول؟

أجابه (وجيه) في انفعالٍ وخوفٍ:

- لستُ أدري شيئًا عن هذا.. أُقسم لك.. كل ما علمته بالمصادفة، هو أنَّ الدكتور (جمال) هو الذي يجعل الأمر سهلًا، وأنَّ (كامل) بك هو الذي اتفق مع شركة البترول الأجنبية.

عقد (نديم) حاجبيه، وقال:

- أهذا كل ما تعرفه؟

كاد الرجل يبكي، وهو يقول:

- أُقسم لك أنَّ هذا كل ما أعرفه، أُقسم لك.

أومأ (نديم) برأسه موافقًا، وقال:

- إنَّني أصدقك.

وفي نفس اللحظة عادت (غادة) تحيط فم (وجيه) بالكمامة، وهي تقول ساخرة:

- المهم أن يصدِّق رجال الشرطة.

وأدرك (وجيه) أنَّه سيلتقي برجال الشرطة هؤلاء..

قريبًا جدًّا..

***

«إنَّني لم أعد أحتمل»

صاح (عماد) بهذه العبارة، وسط قاعة الاجتماعات الخاصة، الملحقة بمكتب (كامل شكري)، الذي عقد حاجبيه في صرامة، وهو يتطلع عبر نافذة مكتبه، ثم التفت إلى المديرين الأربعة، الذي يحتلون مقاعدهم حول مائدة الاجتماعات، وقال في صوت غاضب:

- لماذا لم تعد تحتمل يا (عماد)؟.. إنَّك على الأقل الوحيد بيننا، الذي لم يهاجمه (العقرب) بعد.

صاح (عماد):

- لن أنتظر حتى يفعل.. لقد أيقظني رجال الشرطة في الفجر، وأخبروني أنَّني مهدد بهجوم شخص مقنع، وحذروني منه، وتركوا بعض رجالهم لحراسة الفيلا، ولكن ذلك (العقرب) يجتاز دائمًا كل رجال الحراسة.

قال (كامل) في صرامة:

- وماذا تقترح؟

أجابه في عصبية:

- أن نغادر البلاد، كما أراد (جمال).

عقد (كامل) حاجبيه، على نحو مخيف، وهو يقول:

- أهذا رأيكم جميعًا؟

انكمش (جمال) في مقعده، في حين قال (رضوان) في توتر:

- نعم.. إنَّه رأينا جميعًا.

ران صمت رهيب ثقيل على المكان، وارتسم التوتر على وجوه الجميع، حتى قطع (كامل) حبل الصمت هذا، وهو يقول في صرامة:

- فليكن.. سنغادر البلاد.

سرى الارتياح في جو الحجرة، وتنفَّس الجميع الصعداء، قبل أن يضيف:

- ولكن ليس بالسرعة التي تتصورونها.

قال (أشرف) في حِدَّةٍ:

- ماذا تعني؟.. إنَّ ذلك (العقرب) يطاردنا في إصرار، وسيوقع بنا إن عاجلًا أو آجلًا، وبقاؤنا يعني المزيد من المخاطر.

قال (كامل) في صرامة:

- وفرارنا السريع هذا سيكشف لعبتنا كلها، وسيجعلنا مجرد

مجرمين، هاربين من القانون، وربما استعادنا المسئولون بالبوليس الدولي (الإنتربول)، لإلقاء القبض علينا، وإعادتنا إلى هنا، حيث يكون السجن مصيرنا.

قال (جمال) في تردُّد:

- لا توجد اتفاقية لتبادل المجرمين بين (مصر) و(سويسرا)، ولو غادرنا البلاد الليلة، فسنكون في مأمن هناك، مع مطلع فجر الغد.

مضت لحظات أخرى من الصمت، قبل أن يقول (كامل) في صرامة:

- فليكن.. سنرحل جميعًا في طائرة منتصف الليل، إلى (سويسرا).

وشرد ببصره، مستطردًا في غيظ:

- وسيؤلمني كثيرًا أن يجبرنا ذلك (العقرب) اللعين، على إفساد عمل كل هذه السنين، والفرار على هذا النحو.

غمغم (جمال):

- هذا أفضل من قضاء ما تبقى من العمر خلف القضبان.

وافقه (عماد) بإيماءة من رأسه، وتنهَّد (رضوان) في عمق، في حين قال (أشرف):

- هذا صحيح.

مطَّ (كامل) شفتيه، وقال:

- فليكن.. الليلة، ومع منتصف الليل تمامًا، تنتهي لعبتنا.

وعاد يشرد ببصره، مستطردًا:

- وإلى الأبد..

***

عقد عم (أحمد)، العامل الخاص بمكتب (نديم) حاجبيه، عندما رأى (مجدي) أمام باب المكتب، وهو يسأله بخشونته

المعهودة:

- هل وصل (نديم) في موعده اليوم؟

أجابه عم (أحمد) في ضيق:

- بالطبع.. وما الذي يدعوه للتأخير؟

قال (مجدي)، وهو يندفع نحو مكتب (نديم):

- الليلة الماضية كانت حافلة للغاية.

هتف به عم (أحمد):

- مهلًا.. ينبغي أن أبلغ السيد (نديم) أولًا، و..

ولكن (مجدي) اقتحم الحجرة في غلظة، وأدهشه أن وجد (نديم) خلف مكتبه، أنيقًا هادئًا كعادته، وأحنقه أن استقبله (نديم) في برود قائلًا:

- مرحبًا يا (مجدي).. ألم يكن من اللائق أن تطرق الباب

أولًا.

جلس (مجدي) على المقعد المقابل لمكتب (نديم)، وهو يقول في عصبية:

- لقد تركتُ اللياقة لك.

ثم مال نحوه، مستطردًا:

- ولـ(عقرب).

تطلَّع إليه (نديم) في هدوءٍ مثيرٍ، قبل أن يسأله:

- هل (العقرب) هو سبب زيارتك هذه؟

تجاهل (مجدي) السؤال، وقال:

- هل تعرف مجرمًا يُدعى (وجيه سمعان)؟

قال (نديم) في هدوء:

- إنَّني أذكره، من أيام عملي بالشرطة.

قال (مجدي) بسخرية عصبية:

- عجبًا!!.. كنت أظنك قد التقيت به فجر اليوم، وتركته مقيدًا ومكممًا عند سفح الهرم الأكبر، وفي جيبه شريط تسجيل، يحوي اعترافًا تفصيليًّا منه، ينفي تهمة القتل عن (العقرب).

سأله (نديم) في هدوء:

- هل فعل به (العقرب) هذا؟

قال (مجدي) في حِدَّةٍ:

- إنَّه يتهمك أنت بهذا.

رفع (نديم) حاجبيه، وهو يقول:

- أنا؟!.. ولكنني كنت..

قاطعه (مجدي) في حِدَّةٍ:

- أعلم.. أعلم أنَّك أعددت كل شيء، لتثبت بُعدك عن مكان الحادث بعشرات الكيلومترات، ولا أحد سيستمع إلى كلمة مجرم مثل (وجيه)، أمام كلمتك أنت، وخاصة مع عدم وجود دليل.. أعلم هذا.

ثم نهض من مقعده، مستطردًا:

- وإنما أردت إخبارك فقط.

قال (نديم) في هدوء:

- فقط؟!

قال (مجدي) في عصبية:

- لا.. ما زالت هناك نقطة أخرى.. لقد راجعت ملف شركة البترول، وأعلم أنَّ هناك أمرًا غير قانوني يحدث هناك، ولكنني فشلت في كشفه، وإن كنت واثقًا أنَّ (العقرب) يعلمه، ويطارد مديري الشركة لهذا السبب.

هزَّ (نديم) كتفيه، وقال:

- ربما.

رمقه (مجدي) بنظرة صارمة غاضبة، قبل أن يلوِّح في وجهه بسبابته، قائلًا:

- اسمع يا (نديم).. مهما كانت الأسباب، فليس من حق (العقرب) أن يتدخل في أمور العدالة، ولو حاول مهاجمة (عماد)، كما هاجم الباقين، فسيقع في يدي حتمًا.

لم ينبس (نديم) ببنت شفة، حتى انتهى (مجدي) من قوله، واندفع يغادر المكان في عنف كما دخله، ولم يكد يبتعد، حتى دفعت (غادة) باب مكتب (نديم)، ودخلته قائلة في حنق:

- يا لـ(مجدي) السخيف هذا!.. لقد أيقظني من نومي بصياحه.

قال (نديم) في هدوء:

- إنَّه يؤدي واجبه.

ألقت نفسها على أول مقعد صادفها، وهي تسأله:

- هل عثر على (وجيه)؟

أومأ برأسه إيجابًا، ثم مال يستند إلى مكتبه بمرفقيه، وهو يقول:

- ولكن (وجيه) لم يتهم (كامل) مباشرة، وهذا يعني أن لعبتنا نحن لم تنته بعد.

سألته في تكاسل:

- هل توصلت لشيءٍ، بخصوص عملية اختلاس البترول؟

أجابها:

- ليس بعد.

ثم تراجع بمقعده، مستطردًا:

- المعلومات التي لدينا قاصرة للغاية.

غمغمت (غادة):

- إنَّها طرف الخيط على الأقل.

أغلق (نديم) عينيه، وهو يفكر في عمق، قائلًا:

- دعينا نراجع ما لدينا، فالدكتور (جمال) قال: إنَّه أهم شخص في اللعبة كلها، وإنَّه يحصل لهذا على نسبة أعلى من الآخرين، وأيَّد (وجيه) قوله، مضيفًا أنَّ (كامل) هو الذي اتفق مع شركة البترول الأجنبية، وأخيرًا أشار (أشرف) إلى وجود فارق في الأسعار، يحقِّق هذا الاختلاس، فأي فارق هذا؟

هزت (غادة) رأسها، قائلة:

- لقد قضيت ساعة كاملة، في التفكير في هذا، دون أن أتوصل إلى شيء ما.

أجابها (نديم):

- وأنا أيضًا، فكمية البترول خاضعة لرقابة شديدة، تجعل من المستحيل تجاوزها، أو التقليل منها، وسعة ناقلات البترول مدروسة ومعروفة، ومن المستحيل بالفعل إقامة خط أنابيب فرعي، فكيف يمكن اختلاس البترول؟

ابتسمت (غادة) في سخرية، وهي تقول:

- ربما يضيفون إليه بعض الماء، ويحصلون على فارق الأسعار.

لم يستقبل الدعابة كعادته، وإنما هزَّ رأسه مستنكرًا، وهو يقول:

- مستحيل، فالبترول لا يمتزج بالماء، كما أنَّ هذا لا يفيد الشركة الأجنبية، وهو كان الـ..

بتر عبارته بغتة، وانعقد حاجباه في شدة، قبل أن يقول في حماس:

- بالطبع.. هذا هو التفسير المنطقي.

التفتت إليه (غادة)، وهتفت به:

- هل توصلت إلى الوسيلة؟

أجابها في حماس:

- نعم إنَّها وسيلة شيطانية، ولكنها التفسير الوحيد لكل هذا.

صاحت:

- أخبرني بها بالله عليك.. هيا.. لن أحتمل الانتظار.

أجابها في اهتمام:

- سأخبرك بها بالطبع يا (غادة)، ولكن ينبغي أن نتحرك في سرعة، وإلا أفلت الصيد من القفص.

وأخذ يروي ما توصل إليه..

وكانت الخطة شيطانية..

شيطانية بحق..

***

-٢٠-

السقوط

تطلَّع اللواء (حلمي) في قلق إلى (مجدي)، الذي بدا شديد العصبية، وهو يقدِّم له ملف شركة البترول، قائلًا:

- ما رأيك يا سيدي؟.. هناك انحرافات مالية خفية.. أليس كذلك؟

أجابه اللواء (حلمي).

- ربما يا (مجدي)، ولكن أجهزة الدولة كلها لم تنجح في كشف هذه الانحرافات المالية، ونحن نحتاج إلى دليل مادي قوي، لإقناع وكيل النيابة بإصدار أوامر القبض، وعلى كل مديري الشركة دفعة واحدة.

أغلق (مجدي) الملف في حِدَّةٍ، وهو يقول غاضبًا:

- هذا ما يميزه عنا.

سأله اللواء (حلمي):

- مَن تقصد؟

أجابه في غضب:

- (العقرب).. إنَّه يضرب ضربته، دون الحاجة إلى أدلة مادية، أو تقارير من المعمل الجنائي، أو أوامر قبض.. إنَّه يتحرك بالحرية، التي نحتاج نحن إليها.

ابتسم اللواء (حلمي) في تعاطفٍ، وهو يقول:

- وهل تقبل العمل بأسلوب (العقرب)؟

هتف (مجدي):

- مستحيل!.. إنَّه يخالف القانون.

ربت (حلمي) على كتفه، وقال:

- القانون يا ولدي وسيلة لحفظ الحقوق والحريات، وتلك

التعقيدات الكثيرة فيه شديدة الأهمية، لضمان العدل والحق، ولكنه ككل القوانين البشرية الوضعية، يحوي بعض الثغرات، و(العقرب) يعمل لسد هذه الثغرات، وتحقيق العدالة عبرها.

حدَّق (مجدي) في وجهه بشدة، وهتف:

- هل توافق على أسلوب (العقرب) يا سيدي؟

هزَّ (حلمي) كتفيه، وقال:

- إنَّه لا يؤذي الأبرياء على الأقل.

صاح (مجدي) مستنكرًا:

- ولكنه يخالف القانون.

ابتسم اللواء (حلمي)، وسأله في حنان أبوي:

- ألم تراودك أحيانًا الرغبة في مخالفة القانون؛ لتحقيق العدالة؟

أجابه في سخط:

- بل راودتني كثيرًا؛ لإلقاء القبض على (نديم)، وإثبات أنَّه (العقرب).

تطلع إليه (حلمي) لحظات في صمتٍ، ثم عاد يجلس خلف مكتبه، وقال:

- أتعلم يا (مجدي).. لو أنَّني في موضعك، لما تعاملت مع (العقرب) بهذه العدوانية.

سأله (مجدي) في ضيق:

- وكيف كنت ستتعامل معه يا سيدي؟

فاجأه جواب (حلمي)، وهو يقول:

- كنتُ سأعاونه.

صاح (مجدي) مستنكرًا:

- تعاونه؟!

أجابه اللواء (حلمي):

- نعم.. كنت أفسح له الطريق على الأقل يا (مجدي)، حتى يوقع من يعجز القانون عن الإيقاع بهم، ما دام هذا يحقِّق العدالة.

صمت (مجدي) لحظات، وهو يتطلَّع خلالها إلى اللواء (حلمي) في حيرة، قبل أن يقول في حِدَّةٍ:

- لا.. لا يمكنني هذا.

قال اللواء (حلمي) في بساطة:

- ولم لا؟.. خذ قضية مثل قضية شركة البترول هذه.. إنَّنا جميعًا نشعر بوجود تلاعب مالي هناك، ولكن كل الجهات الرسمية عجزت عن إثبات هذا، في حين قد ينجح (العقرب) في هذا.

لوَّح (مجدي) بذراعه، هاتفًا في سخط:

- ومن قال إنَّه سينجح؟

ارتفعت طرقات منتظمة على الباب، عند هذه اللحظة، فقال اللواء (حلمي):

- ادخل.

دخل إلى الحجرة شرطي، تقدَّم إلى حيث يجلس اللواء (حلمي) وأدَّى التحية العسكرية في احترام، ثم ناول اللواء (حلمي) مظروفًا مغلقًا، وهو يقول:

- رسالة خاصة لك يا سيدي.

سأله اللواء (حلمي)، وهو يلتقط منه المظروف:

- من أحضرها؟

أجابه الشرطي:

- سيدة عجوز، قالت إنَّه خطاب شخصي لك.

أومأ اللواء (حلمي) برأسه، قائلًا:

- لا بأس.. يمكنك الانصراف.

انصرف الشرطي في سرعة، في حين فضَّ اللواء (حلمي) المظروف، وهو يقول:

- تُرى من أرسل هذا الـ..؟

قبل أن يتم عبارته، سقطت من المظروف بطاقة أنيقة، اتسعت عينا (مجدي)، وهو يحدِّق فيها هاتفًا:

- (العقرب).. إنَّها رسالة من (العقرب).

كانت البطاقة تحمل رسم العقرب الذهبي في وضوح، مما جعل اللواء (حلمي) يلتقط الرسالة المرفقة بها في لهفة، لم تبلغ حد لهفة (مجدي)، وهو يسأله:

- ماذا يقول في رسالته يا سيدي؟.. ماذا يقول فيها؟

قرأ اللواء (حلمي) الرسالة في سرعة، واتسعت عيناه في

شدة، وهو يهتف في انفعال:

- يا إلهي!.. إنَّه الحل يا (مجدي).. لقد توصَّل (العقرب) إلى الحل.

سأله (مجدي) في انفعالٍ شديدٍ:

- حل ماذا؟

ناوله اللواء (حلمي) الخطاب، وهو يجيب:

- حل لغز عصابة البترول يا (مجدي).. لقد فعلها (العقرب).. لقد فعلها.

وعندما اختطف (مجدي) الخطاب، أدرك أن اللواء (حلمي) على حق..

لقد فعلها (العقرب)..

فعلها في مهارة..

***

انتهى (زهدي) من إعداد حقيبة (كامل)، والتفت إليه يسأله:

- هل تأمر بشيء آخر يا زعيم؟

نفث (كامل) دخان سيجاره، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- لا تستخدم هذا اللفظ مرة أخرى يا (زهدي).

ابتسم (زهدي) قائلًا:

- فليكن يا سيدي.. لن أستخدمه.

واقترب من (كامل)، يسأله:

- أصحيح أنَّك ستغادر البلاد إلى الأبد؟

أجابه (كامل)، في عصبية:

- نعم.. ولقد منحتك مكافأة سخية.. أليس كذلك؟

قال (زهدي)، في لهجة أقرب إلى السخرية:

- هل تراها حقًّا سخية أيُّها الزعيم؟

التفت إليه (كامل)، وقال:

- لقد منحتك خمسين ألف جنيه دفعة واحدة.. ألا يكفيك هذا؟

أجابه (زهدي) في غلظة:

- ليس عندما تنعم أنت بالملايين أيُّها الزعيم.

قال (كامل) في حِدَّةٍ:

- إنَّها نقودي.

أجابه (زهدي):

- بل هي نقود الشركة، لو توخينا الدقة.

تطلَّع إليه (كامل) لحظة في صرامة، ثم سأله في حِدَّةٍ:

- ماذا تريد بالضبط يا (زهدي)؟

أجابه في شراهة عجيبة:

- مليون جنيه.

هتف به (كامل):

- مليون جنيه؟!.. هل جننت؟

صاح به (زهدي) في غضب:

- لماذا؟.. لقد ساعدتك في الحصول على الملايين، وفي حماية ما حصلت عليه.. ألا أستحق في النهاية مليون جنيه؟

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يبتسم (كامل) ابتسامة غامضة ويقول:

- بل تستحق الكثير يا (زهدي).

ومد يده إلى جيب سترته، مستطردًا:

- تستحق هذا.

وفي حركة سريعة، انتزع من جيب سترته مسدسًا، وأطلقه على صدر (زهدي) بلا تردد، فجحظت عينا هذا الأخير، وانفرجت شفتاه لينطق بشيء ما، إلا أنَّه لم ينطق به قط؛ فقد هوى عند قدمي (كامل) جثة هامدة..

وفي ازدراء دفع (كامل) جثة (زهدي) بقدمه، وقال:

- هذا جزاء الطمع أيُّها الغبي..

أتى صوت صارم من خلفه، يقول:

- أتظن هذا؟

التفت في حِدَّةٍ وذعر إلى مصدر الصوت، ورأى قدمًا ترتفع في سرعة وقوة، لتطيح بمسدسه، ثم وقع بصره على الوجه

ذي القناع..

وجه (العقرب)..

وفي عصبية هتف (كامل):

- مَن أنت؟ وماذا تريد مني؟

أجابه (العقرب) في هدوء:

- أظنُّك تعرفني جيدًا يا سيد (كامل)، وتعرف لماذا أنا هنا؟

صاح (كامل) في توتر:

- أنت مخطئ كثيرًا، فالمخالفات المالية للشركة مجرد شائعة.

قال (العقرب) في برود:

- لا داعي لهذا القول يا (كامل)، لقد كشفت أمرك، وأمر عصابتك كلها..

سقط فك (كامل)، وهو يقول:

- كشفتَ أمري؟!

ثم استعاد سيطرته على نفسه في سرعة، واستطرد في حِدَّةٍ:

- أتحداك.. أتحداك أن تجد دليلًا واحدًا، على أنَّنا نختلس شيئًا من الشركة.

قال (العقرب) في ثقة:

- لا داعي للتحدي يا (كامل).. صحيح أن خطتكم عبقرية، ولكنها انكشفت، كما يحدث لكل مجرم.. لقد حيرني الأمر في البداية، ولكنني توصَّلت إلى الحل أخيرًا، وأنت تعلم مثلي أنَّ مجرد التوصل إلى الحل يفسد اللعبة كلها، ويجعل الحصول على الدليل مهمة بسيطة للغاية.. أليس كذلك؟

تصبَّب العرق على وجه (كامل)، وهو يقول:

- أتحداك!!

قال (العقرب):

- قلت لك لا داعي للتحدي يا (كامل)، فستدان على الأقل بتهمة قتل (زهدي).

لوَّح (كامل) بكفه، قائلًا في حِدَّةٍ:

- سأنكر معرفتي به.. إنَّه مجرد لص، تسلَّل إلى هنا، وحاول قتلي، فدافعت عن نفسي، وقتلته.. ومسدسي هذا مرخص.

هزَّ (العقرب) كتفيه، وقال:

- فليكن، ولكن اللعبة الأخرى انكشفت كلها.

عاد يكرِّر في حِدَّةٍ:

- أتحداك.

ارتسمت على شفتي (نديم) ابتسامة باهتة، لم تلبث أن تلاشت في سرعة، وهو يقول:

- ستخسر التحدي يا (كامل).

ثم مال نحوه، مستطردًا:

- أنت تعلم - مثلي - أنَّ لعبتكم كلها تعتمد على جودة البترول الخام.

اتسعت عينا (كامل) في ذعر، وترك جسده يتهاوى على أقرب مقعد إليه، و(العقرب) يستطرد:

- كل نوع من خامات البترول له سعر خاص، يتفاوت تبعًا لجودة الخام ونقاوته، وفي لعبتكم هذه حدَّدتم جودة أقل لخام الموقع، بحيث يصبح سعره أقل مما ينبغي، واتفقتم مع الشركة الأجنبية على شراء الخام بسعر مناسب، يزيد كثيرًا عن سعر الخام الأقل، ويقل كثيرًا أيضًا عن سعره الحقيقي، وكان من السهل أن يحدِّد الدكتور (جمال) جودة الخام بأقل من حقيقتها، بل وأرسل عينات غير حقيقية إلى المعامل المركزية في (القاهرة)، ليثبت رسميًّا عدم جودة الخام، وبعدها بدأت اللعبة.. الشركة الأجنبية تتلقى خامًا من أفضل طراز، وتدفع ثمن خام رديء، وفي نفس الوقت تحصلون أنتم على فارق أسعار منافس، يجعل الشركة الأجنبية رابحة،

وكذلك أنتم، في حين تخسر الشركة المصرية الفارق الحقيقي.

انهار (كامل) تمامًا، و(العقرب) يتابع:

- ولكن اللعبة كلها تفشل بالطبع، عندما يعرف شخص واحد هذه الحقيقة، ففي هذه الحالة سيتم تحليل خام البئر مرة ثانية، وستنكشف الحقيقة، وتنهار العصابة كلها.

انتزع (كامل) من بين شفتيه عبارة قصيرة، وهو يقول:

- كم تريد؟

هزَّ (العقرب) رأسه، وقال:

- أريدكم خلف القضبان للأسف.. وهذا هو الثمن الوحيد الذي يرضيني، ولقد أرسلت خطابًا إلى مديرية الأمن، وآخر إلى الجهاز المركزي للمحاسبات، أكشف فيه اللعبة كلها، وأظن الشرطة في طريقها إلى هنا الآن.

لم يكد يتم عبارته، حتى بدا صوت أبواق سيارات الشرطة

واضحًا، فأضاف في برود:

- هيا يا رجل.. تقبَّل الخسارة بروح رياضية.

واتجه نحو الباب، وغاب كالشبح..

ولدقائق راح صوت سيارات الشرطة يقترب ويقترب..

ولكن (كامل) لم يبارح مقعده..

لقد انهار عمله كله..

سقطت لعبته.. وخسر ملايينه كلها..

بل خسر حياته..

وفي بطءٍ.. أدار (كامل شكري) عينيه إلى ركن الحجرة، حيث سقط مسدسه..

وفي بطء أيضًا نهض يلتقط المسدس، ويدير فوهته إلى صدغه، مغمغمًا:

- لقد خسرنا كل شيء..

وضغط الزناد.

***

-٢١-

الختام

أشارت (غادة) إلى صحيفة الصباح التالي، وهي تهتف في حرارة:

- هل قرأت هذه العناوين الرئيسية، في صفحة الحوادث؟.. انتحار رئيس مجلس إدارة شركة البترول، وإلقاء القبض على مديريها الأربعة.. لقد حقَّق (العقرب) انتصارًا جديدًا كالمعتاد، وحطم عصابة إجرامية هذه المرة.

أجابها (نديم) في هدوء:

- هذا ما اختاره هدفًا لحياته.

همَّت بقول شيء ما، لولا أن دخل عم (أحمد) على الحجرة، وقال وهو يبتسم في حنان:

- لديك زائر خاص يا سيدي.

ومن خلفه ظهر اللواء (حلمي)، يقول:

- صباح الخير يا (نديم).

نهض (نديم) يصافحه في حرارة، وهو يقول:

- صباح الخير يا سيدي.. كيف حالك؟

أشار اللواء (حلمي) إلى صدره، قائلًا:

- في خير حال يا ولدي.. قلبي يشعر بالارتياح التام الآن.

وصافح (غادة)، مستطردًا بابتسامة أبوية:

- بفضلكما.

تبادلت (غادة) ابتسامة حذرة مع (نديم)، لاحظها اللواء (حلمي)، فاتسعت ابتسامته وهو يقول:

- أقصد بفضل (العقرب).

قال (نديم) في هدوء:

- لقد أدَّى عمله يا سيدي.

أضاف اللواء (حلمي):

- وحقَّق العدالة.

ثم اعتدل، وسأل (نديم):

- أتعلم ما ستفعله الدولة؟.. إنَّها ستستعيد الملايين العديدة، التي أودعها هؤلاء اللصوص في بنوك (سويسرا)، وستصادر ممتلكاتهم، وتلقي بهم خلف القضبان.

قال (نديم):

- إنَّهم يستحقون هذا.

هتف اللواء (حلمي):

بالطبع.

ثم رمق (نديم) بنظرة امتنان، وهو يستطرد:

- ولكنني أتمنى مقابلة (العقرب) الآن.

سألته (غادة):

- لماذا؟.. هل ستمنحه وسامًا؟

ابتسم قائلًا:

- لم أكن لأتردد، لو أنَّ هذا في نطاق سلطتي.

قال (نديم) في هدوء:

- لست أظنه يهتم بالأوسمة يا سيدي.

وافقه (حلمي) بإيماءة من رأسه، وقال:

- أعلم هذا يا ولدي.. أعلم هذا، ولكنني أردت مقابلته؛ لأشكره على استجابته لنداء صديق.

قال (نديم):

- إنَّه لا يتردَّد في هذا يا سيدي.

وأضافت (غادة):

- ما دام يحقِّق العدالة.

أومأ (حلمي) برأسه مرة أخرى موافقًا، وقال:

- نعم يا ولدي.. نعم يا بنيتي.. هذا هو ما توقعته.

وابتسم في إعجاب وحنان، مستطردًا:

- وهذا هو (العقرب).

***

(تمَّت بحمد الله)